obeikandi.com

الفصل الثالث

الرياضة عند العرب عصر ما قبل الإسلام

obeikandi.com

الفصل الثالث

ولم تنقطع ممارسة الرياضة عند العرب فى العصور التالية إطلاقاً وإن كان الباحثون لم يعطوا هذا الجانب من نشاط العرب أى إهتمام يذكر شأنه شأن كل مناحى الثقافة العربية القديمة .

لذلك إنعدمت المعلومات الكافية لمعرفة طبيعة رياضاتهم وضروب ألعابهم المختلفة إلا ما قد نستخلصه من بعض أبيات الشعر أو المأثورات أو حتى بعض آيات الكتاب المقدس والإشارات القرآنية والأحاديث النبوية .

ونجد كلمة الرياضة ذكرت على لسان الشاعر الجميح وهو يخاطب زوجه التى غاضبته وقد عرف أن رجلاً ذهب إليها يطلب يدها غير أنها لم تقبل طلبه وزجرته ، فقال الجميح :

أمست أمامة صمتاً ما تلكمنا　　مجنونة أم أحست أهل خروب
مرت براكب ملهوز فقال لها　　ضرى الجميح ومسيه بتعذيب
ولو أصابت لقالت وهى صادقة　　أن الرياضة لا تنصبك للشيب

وعرف العرب القدامى المسابقة فى ألعابهم الرياضية التى كانت تمارس بين كبارهم والتى تمارس بين صغارهم ، وكان لهم قواعدهم التى تفرض على المتسابقين الإلتزام بها والنزول على أحكامها .

لعبة الزحلوقة :

وهاهو إمرؤ القيس يصف لعبة للصبيان فى عصره تسمى (زحلوقة) فيقول :

لمن زحلوقة زل　　بها العينان تنهل
ينادى الآخر الأل　　ألا حلوا ألا حلوا

فقد كان الصبيان يجتمعون فيأخذون خشبة فيضعونها على قوز من رمل ثم يجلس على أحد طرفيها فريق وعلى الطرف الآخر فريق فأى الفريقين كان أوزن

إرتفعت الأخرى فينادون الطرف الآخر (ألا حلوا) أى خففوا من عددكم حتى نساويكم وفى هذه اللعبة يقول أيضا سلمى بن أبى ربيعة :

فكأن فى العين حباً فى قرتفل أو سنبلاً كحلت به فإنحلت

لعبة الضبة والمسة :

وهناك لعبة لصبيان الأعراب من ألعاب الطريدة وهى (الضبة والمسة) فإذا وقعت يد اللاعب من آخر على بدنه أو رأسه أو كتفه فهى المسة .
أما إذا وقعت على رجله فهى الأسن وفيها يقول الطرماح فى وصفه لجوارى أدركن فترفعن عن لعب الصبيان :

قضت من عياف والطريدة حاجة فهن إلى لهو الحديث خضوع

لعبة الخطرة :

وهناك لعبة (الخطرة) وكانت تلعب بأن يحرك المخراق وهو منديل أو نحوه يلوى فيضرب به أو يلف فيفزع به وفى هذه اللعبة يقول عمرو إبن كلثوم :

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بأيدى لاعبينا

وقول قيس بن الخطيم :

أجالدهم يوم الحديقة حاسراً كأن يدى بالسيف مخراق لاعب

وقول أبوذؤيب الهذلى مشبهاً البرق بالمخاريق :

أرقت له بعد العثار كأنه مخاريق يدعى تحتهن خريج

وفى حديث على بن ابى طالب : " البرق مخاريق الملائكة " .
فقد شبه الرعد بصوت اللاعبين لأن أصل اللعبة أن يمسك أحدهم شيئاً بيده ويقول لسائر اللاعبين أخرجوا ما بيدى .

لعبة الخذروف :

ولعبة (الخذروف) وتسمى أيضاً الخراز وهى عبارة عن عويد مشقوق فى وسطه ، يشد بخيط ويمد فيسمع له دوى ، وورد فى بيت لإمرئ القيس حين يصف فرساً

درير كخذروف الوليد أمر، تتابع كفيه بخيط موصل

وقريب منه ما أتى عن طفيل الغنوى واصفاً فرسه :

يذيق الذى يعلو على ظهر متنه ضلال خذاريف من الشد ملهب

ويدعم البعض الخذروف بلعبة أخرى أطلقوا عليها إسم المغالى .

والمغلى هو السهم الذى يقذف به إلى أبعد مدى ، وفيه يقول قيس بن زهير :

كأن خذاريف السواعد بيننا مغالى غواة يلعبون بها

وتسمى هذه اللعبة أيضاً (اليرفع) لسرعتها الفائقة ، وقد عرض إبن مقبل صورة لها فقال :

هرج الوليد بخيط مبرم خلق بين الرواجب فى عود من العشر

وشبه إبن مقبل فى موضع آخر الخذروف برؤوس القتلى أطاحت بها السيوف من فوق الأعناق فقال :

لأسيافهم فى كل يوم كريهة خذاريف هام أو معاصم شنج

لعبة الحجورة :

ولعبة الحجورة وفيها يخط الصبيان خطاً مستديراً ويقف فيه صبى ثم يجتمعون فيه ليأخذوه .

لعبة البقرى :

ولعبة (البقرى) حيث يأتى الصبيان إلى موضع وقد خبئ لهم فيه شيئ فيضربون بأيديهم بلا حفر يطلبونه ، ومنه قول شاعراً يصف فرساً :

ينط بحقويها خميس أقمر جهم كبقار الوليد أشعر

وذكرت اللعبة فى وصف طفيل الغنوى لخيل تلعب فى مقالع جبل إذ يشبهها بكومة تراب ضمت إلى صوامع فقال :

أبنت فما تنفك حول مقالع لها مثل آبار المبقر ملعب

لعبة المنجار :

ولعبة (المنجار) وفيها يقول بعضهم :

والورد يسعى بعصم فى رحالهم كأنه لاعب يسعى بمنجار

لعبة البنات :

وكانت للعرب لعبة تسمى (البنات) والعامة فى مصر يسمونها العرائس وهى التماثيل الصغيرة يلعب بها .

وفيها يقول إمرئ القيس :

عهدتنى ناشئاً ذا عزة رجل الجمة ذا بطن أقب

أتبع الولدان أرخى مئزرى إبن عشر ذا قريط من ذهب

وهى إذ ذاك عليها مئزر ولها بيت جوار من لعب

وفى حديث عائشة : " كنت ألعب مع الجوارى بالبنات " .

وأيضا فى حديثها : " قدم النبى من غزوة تبوك وفى سهوتى ستر فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لى فقال : ما هذه ؟

قلت : بناتى ، ورأى بينهن فرس له جناحان .

فقال : ماذا أرى وسطهن ؟

قلت : فرس .

قال : وماهذا الذى عليه ؟

قلت : جناحان .

قال : فرس له جناحان ؟

قلت : أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة ، فضحك حتى بدت نواجذه "

لعبة الدوباركة :

وتشبه هذه اللعبة عند أهل العراق لعبة تسمى الدوباركة ، ويذكر التنوخى أن أهل بغداد كانوا يحلون هذه اللعبة فى سطوحهم ليالى النوروز ويلعبون بها ويخرجونها فى زى حسن من فاخر الثياب وحلى يحلونها بها كما يفعل مع العرائس وتخفق بين يديها الطبول والمزامير وتشعل النيران .

لعبة الكرج :

ومن تماثيل اللعب (الكرج) وهو تمثال لفرس من خشب ، وفيه يقول جرير :

لبست سلاحى والفرزدق لعبة عليها وشاح كرج وجلاجل

وفى مراسيل أبى داود أن عمر بن الخطاب رأى لاعباً بالكرج فقال : " لولا أنى رأيت هذا يلعب بهعلى عهد النبى لنفيته من المدينة " .

وفى الروض الأنف فى الكلام عن مغنى المدينة : " وربما لعب بعضهم بالكرج "

وذكر إبن خلدون فى مقدمته أثناء كلامه فى فضل صناعة الغناء أن الكرج جعل فى زمان الدولة العباسية من آلات الرقص : " واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالكرج وهى تماثيل خيل مسرجة من الخشب معلقة بأطراف أقبية تلبسها النساء ويحاكين بها إمتطاء الخيل فيكرون بها ويفرون ويتثاقفن " .

وذكر إبن سعيد فى كتابه (المغرب) أن إبن الفرات لما وصل إلى مصر بعد أن ملكها الإخشيد كانمما عملوه فى الإحتفال بمقدمه تمثال فرس من خشب ينحدر ويصعد ولعله كان من هذا النوع المسمى بالكرج .

لعبة الدوامة :

ومن ألعابهم (الدوامة) وتلف بسير أو خيط ثم ترمى على الأرض فتدور قال المتلمس فى عمرو بن هند :

وتظل فى دوامة المو لود يظلمها تحرق

فلئن بقيت لتبلغن أرماحنا مثل المحنق

(لعبة الدوامة)

لعبة الحزة :

ومن ألعاب العرب أيضاً (الحزة) وهى قطعة خشب فيها حفر يلعبون بها تحفر فيها حفر ثلاثة أسطر ويجعل فيها حصى صغيرة يلعب بها ، وقد تسمى الأربعة عشر ، وهى أيضاً التى تسميها العامة الشارة .

لعبة الحوالس :

ولعبة شبيهة بالحزة كانت تسمى (الحوالس) بحيث تخط خمسة أبيات فى أرض سهلة ويجمع فى كل بيت خمس حصوات وبينها خمسة أبيات ليس فيها شيئ ثم يجر الحصى إليها كل خط فيها حالس .

وفيها يقول الشاعر :

أخـــوحـــزن يلـــهيهم ضـــرب حـــالس ولا يخفـــى مافيـــه

لعبة السحارة والسحر :

ولعبة السحارة والسحر وهى شيئ يلعب به الصبيان إذا مد من جانب خرج على لون ، وإذا مد من جانب آخر خرج على لون مغاير ، وأشار إليها لبيد فقال :

فإن تسألنا فيم نحن فإننا عصافير من هذه الأنام المسحر

لعبة الحدبدبى :

ومن ألعابهم المصاحبة للغناء لعبة (الحدبدبى) فيقولون :

حدبدبى حدبدبى يا صبيان إن بنى فزارة بن ذبيان

قد طرقت ناقتهم بإنسان مشياً أعجب بخلق الرحمن

لعبة الدارة :

ومن ألعابهم والتى لاتزال تمارس على نطاق واسع لعبة (الدارة) وهى أن يقعد صبيان القرفصاء ويجعلا ظهريهما متلاصقين وتدور الصبيان حولهما يضربونهما .

فإذا أمسك واحد منهما صبياً أجلسه مكانه ، وهذه اللعبة تسمى فى الريف المصرى (الدبة) وهى مقرونة بالغناء .

وفيها يصنع الأطفال دائرة ويجلسون على الأرض ثم يقف واحد منهم خارج الدائرة صائحاً :

الدبة ويرد الأطفال : وقعت فى البير .

ثم يلف حولهم وبيده منديل يقوم بإلقائه حول طفل منهم ، فإذا أعتبه أخذ المنديل وجرى وراء الآخر ويحاول اللاعب الأول أن يجلس مكانه بسرعة .

أما الأغنية التى يغنيها الأطفال أثناء اللعب فهى :

الدبة وقعت فى البير .
وصاحبها راجل خنزير .
ما فتش عليكو الديب .
الديب الديب السحلاوى .
فات فات ، وفى ديله سبع لفات .
الدبة وقعت فى البير .
وصاحبها راجل خنزير .

لعبة الربيعة :

هى ألعاب بسيطة كطبيعة حياة بعض العرب فى عصورهم تلك ولعل أبسط الألعاب (الربيعة) وهى الحجر الذى يرفع كثقل لتجربة شدة الفتى وقوته . وكان رفع الأثقال يعرف عندهم بإسم (الربع) واللاعبون بإسم (الرباعون) وكان الثقل يرفع فى الغالب بيد واحدة .

لعبة جبى جعل :

ولعبة (جبى جعل) بحيث يضع الصبى رأسه على الأرض ثم ينقلب على الظهر

لعبة الجعرى :

ولعبة (الجعرى) وهى أن يحمل الصبى بين إثنين على أيديهما .

لعبة القوارب :

ولعبة يمارسها الأطفال فى الكويت حيث يصنعون قوارب تسمى (تنك) تحمل شخصين يمكنهما التجذيف والإبحار بها .

هى ألعاب لم يكن مقصوداً منها جميعاً اللهو والتسرية ولكنها أيضاً لإظهار الفتوة وللتأكيد على تقاليد رياضية موغلة فى القدم .

لعبة الشغلقة :

فهناك لعبة (الشغلقة) وهى أن يكسح الإنسان من خلفه فيصرعه ، وهو الأسن عند العرب ، وشبيهة بها لعبة (الشغزبية) وهى المصارعة بطرقها المعروفة .

لعبة عظم وضاح :

ولعبة (عظم وضاح) وهى من الألعاب المنتشرة فى الخليج العربى إلى اليوم ، وهى أن يعمد اللاعبون إلى عظم أبيض فيرمونه فى ظلمة الليل ثم يتفرقون فى طلبه فمن وجده منهم فله القمر .

وذكر إبن قتيبة فى تفسير لحديث المبعث أنه بينا النبى (ص) يلعب وهو صغيراً مع الغلمان بعظم وضاح مر عليه يهودى فدحاه ، فقال : " لتقتلن صناديد هذه القرية " .

وفيها يقول شاعرهم :

عظـــم وضـــاح ضـــحن الليلـــة لا تضـــحن بعـــدها مـــن ليلـــة

لعبة المقابلة :

ومن ألعابهم الشائعة أيضا لعبة (المقابلة) وخاصة عند الأعراب حيث يخبئون الشيئ فى التراب ثم يقسمونه قسمين ثم يقول الخابى لصاحبه : أى القسمين ، فإذا أخطا وقع عليه عقوبة ، وفيها يقول طرفة بن العبد واصفاً سفينة رآها :

يشـــــق حبـــــاب المـــــاء حيزومهـــــا بهـــــا

كما قسم التراب المقابل باليد

لعبة المكعبة :

وكذلك لعبة (المكعبة) وفيها يقول شاعرهم :

لتتركن أحاديثاً ومكعبة عند القيم وعندالمدبح السارى

لعبة القلو :

ومن ألعاب الرماية عندهم لعبة (القلو) وهى رمى القلة بحيث ترمى فى الجو ثم تضربها بمقلاء فى يدك ، وهى خشبة قدر ذراع فتستمر القلة ماضية .

وفى تفسير التبريزى قوله بأنها : " خشبة يلعب بها الصبيان يضربونها بالمقلاع وتجمع على مقال وأنشد : ضرب المقالى نقز تقلينها " .

وتحدث عنها إبن منظور فقال : " فلا مثل المقالى ضربت قلينها " .

وهى فيما يرى يقال لها (الأخية) .

وفى لعبة القلو أنشد عمرو إبن كلثوم :

وما صنع الظعائن مثل ضرب ترى منه السواعد كالقلينا

وتندرج هذه اللعبة ضمن ألعاب الفروسية من حيث التدريب عليها .

لعبة الطث :

كما تندرج فى لعبة القلو لعبة أخرى تسمى (الطث) وهى من ألعاب الأطفال ، فيرمون بخشبة مستديرة عريضة يدقق أحد رأسيها نحو القلة يرمون بها ، وفيها يقول أحدهم واصفاً حال إنقضاضه على سرب من الطير :

يطثها طوراً طوراً ضكا حتى يزيل أويكا الفكا

لعبة الزدو :

وكذلك لعبة (الزدو) أى لعب بالجوزة ورمى بها فى الحفرة ، وتلك الحفرة هى المزداة .

لعبة الجماح :

ولعبة (الجماح) وهى ثمرة تجعل على رأس خشبة ، وهى شيئ يتخذ من الطين

أو التمر أو الرماد فيصلب وتكون فى رأس المعراض يرمى به الطير وفيها أنشد إبن دريد :

أصابت حبة القلب ولم تخطئ بجماح

وقيل هو سهم يجعل على رأسه طين يرمى به ، وقيل سهم صغير بلا نصل مدور الرأس يتعلم به الغلمان الرمى ، وقالوا يرمى به الطائر فيلتقيه ولا يقتله حتى يأخذه راميه .

لعبة الزوف :

ولعبة الزوف وهى إحدى ألعاب الجمناز وتعرف الآن بحصان الحلق وكانت تلعب بأن يأتى الصبى راكضاً بإتجاه دكة من طين يضع يده على حرفها ثم يزوف فى الهواء أى يثب للأعلى ويدور فى الهواء ثم يعود إلى مكانه .

ألعاب للتمرين على القتال :

وهناك ألعاباً كانت تلعب كتمرين وإستعداداً للحرب أشار إليها الجاحظ فى كتابه (مناقب الترك) فقال : " ولنا مما جعلنا رياضة إستعداداً للحرب وتثقيفاً ودربة للمجاولة والمشاولة والكر بعد الكر مثل الدبوق والنزو على الخيل صغاراً ومثل الطبطاب والصوالجة للكبار ثم رميش الجثمة والبرجاس والطائر الخطاف ".

لعبة الطبطاب :

وفى هذا النص جاءت كلمة (الطبطاب) وهى مضرب خشبى عريض للكرة وإسم اللعبة (الطبطابة) .

وكثير من ألعاب الصبيان فى تلك الآونة من حياة العرب كانت مصحوبة بالغناء والأهازيج ، وإنا لنكتفى بذكر نماذج محدودة من لعب الآباء لأبناءهم وهم يرقصونهم ، فقد كان أعرابى يرقص إبنه فيقول :

يارب رب مالك بارك فيه بارك لمن يحبه أو يدنيه
ذكرنى لما نظرت فى فيه أجزء نور غريت أو أخيه
والوجه لما أشرقت نواحيه دينار عين بيد تبريه

وترقص منفوسة بنت زيد الخيل ولدها فتقول :

أشبه أخى وأشبهن أباكا
أما أبى فلن تنال ذاكا
تقصير عن مناله يداكا

ويرقص الزبير بن العوام ولده فيقول :

أبيض من آل عقيق
مبارك من ولد الصديق
ألذه كما الذريقى

وترقص أم الفضل بنت الحارث ولدها عبدالله بن عباس فتقول :

تكلت نفسى وتكلت بكر
إن لم يسد فهراً وغير فهر
بالحسب الوافى وبذل الوفر

الكرك مجمع للألعاب :

كما إشتهر عن بلاد العرب تلك الملاعب والحلبات المعروفة بـ (الكرك) وكان لكل حارة من حارات مكة كرك يعرف به ويجتمعون له لمشاهدة الألعاب الرياضية .
وفى عصر خلافة عمر بن الخطاب قدم مكة فرأى الكرك لم يزل يلعب به فأقر، وشجع لبقاءه .

لعبة الكب كلين :

ولم يكن الكرك مقصوراً على مكة وما جاورها بل إمتد ليشمل كل أصقاع الخليج العربى وكانت تمارس فيه رياضات شعبية لها أصولها العريقة .

فكانت تمارس فى البحرين على سبيل المثال رياضة (الكب كلين) وهى الصورة الأولى للعبة الجولف وتلعب بمضرب خشبى وكرة أو قطعة خشبية .

لعبة المدحاة :

وكذلك لعبة (المدحاة) أو (دحو) وهى الأقرب للكب كلين وكانت عبارة عن عصا من الخشب مجدوحة الطرف كالهلال يضرب بها كرة من خشب أيضاً بعد حفر أدحية .

وفيها يقول الحارث بن رافع : " كنت ألاعب الحسن والحسين بالدحو فكنا نحفر أدحية كأدحية بيض النعام ونضع عليها سارية ثم نبتعد عنها بمسافة طويلة ونسوى الرمل فنضع عليه كرة من الخشب وربما وضعنا جوزة ، ويمسك اللاعب بالمدحاة بكلتا يديه ويهوى بها على الكرة فما أتت على شيئ إلا إجتحفته ثم نجرى بعد ذلك وراءها فإذا ما إقتربنا من السارية رفعناها وإن سقطت الكرة فى الأدحية عد ضاربها غالباً " .

وأشار إليها الأصفهانى وذكر قول الشاعر الحميّرى :

كأنها كرة بكف حزور عبل الذراع دحا بها فى الملعب

وفى تلك اللعبة يقول أوس بن حجر وهو يصف هطول المطر :

يرع حلد الحصى مبترك كأنه فاحص أو لاعب داحى

وفيها أنشد إبن برى فيقول :

فيدحو بك الداحى إلى كل سوءة فيا شر من يدحو بأطيش مدحو

وظلت تلك اللعبة تمارس حتى عهد الدولة العباسية تقريباً بصورتها تلك حيث أدخل عليها تغييراً جوهرياً نتيجة إتصال العباسيين بالفرس فإندمجت فى لعبة البولو ، ومع الوقت تناساها الناس .

لعبة الرحا :

ولعبة (الرحا) أو (السدك) وهى كلمة فارسية مكونة من (سه) و(در) وتعنى ثلاث أبواب حيث تلعب بثلاث حصوات أو ما يقاربهما .

لعبة شجروة شجرة :

كما إنتشرت فى عمان لعبة (شجروه شجرة) وهى تحتاج لقوة تحمل ولياقة بدنية عالية وسرعة بديهة وكانت تختصر على الشباب.

لعبة الكرابى :

ولعبة (الكرابى) ويلعبها مجموعة من الأطفال يشكلون فريقين كل فريق له خط مستقيم يقف أعضاءه عليه وموازٍ للخط الآخر .

وتبدأ اللعبة بأن يقفز لاعب من أحد الفريقين على رجل واحدة ويثنى الأخرى للخلف ويمسكها بيده محاولاً الوصول إلى الخط الثانى ، وتحدث محاولات من الفريق الآخر لإعاقة وصوله .

(لعبة الكرابى)

لعبة البربر :

وقريب منها لعبة تمارس فى المدينة المنورة يسمونها (البربر) وأوجه الشبه بينهما أنها تؤدى بالرجل اليمنى لكنها تتم بعد ذلك بوضع قطعة صغيرة مستديرة من الفخار فى الأرض وتوضع فى حفر صغيرة معينة فى أماكن متفرقة بعد أن يرفعا للاعب قدمه اليسرى إلى الركبة المواجهة .

(لعبة البربر)

لعبة القحيف :

ولعبة (القحيف) وأدواتها أيضاً قطعة من الفخار حيث ترسم ثمانى مستطيلات على الأرض وتبدأ إحدى الفتيات برمى القحيف فى إحدى المستطيلات ومن ثم تحاول دفعها برجلها وإعادتها عن طريق القفز إلى نقطة البداية .

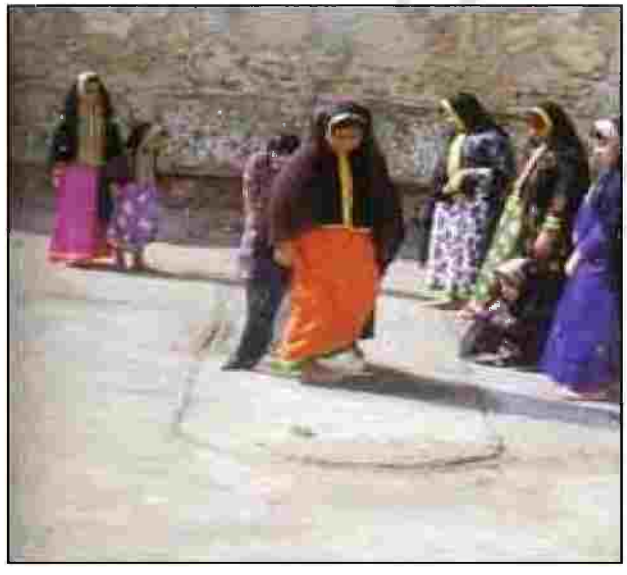

لعبة الشقحة :

ولعبة (الشقحة) وتمارسها الفتيات وهى لعبة جماعية حيث تتقابل لاعبتان على الأرض وتمد كل واحدة رجلها إلى الأمام وتقوم بقية اللاعبات بالقفز دون ملامسة

لعبة الكشحة :

وكذا لعبة (الكشحة) ويلعبها ثلاثة فرق يتكون كل فريق من ثلاثة لاعبين فأكثر .

والملعب عبارة عن ساحة واسعة تقسم إلى نصفين وفى نهاية كل قسم خط يعتبر المرمى ومع كل لاعب عصى مستقيمة من شجر العتم أو الشوحط ليضرب بها الكرة الخشبية الصغيرة المستديرة نسبياً ومن يتمكن من إيصال الكرة إلى خط المرمى للفريق الآخر المغلوب يحل محله الفريق الثالث .

لعبة القبة والمسطاع :

ولعبة (القبة والمسطاع) وهى شبيهة بالتنس الأرضى ، وأدواتها مضرب خشبى وكرة .

(لعبة القبة والمسطاح)

لعبة اللمبا :

ومن ألعاب الكرة أيضا لعبة (اللمبا) وهى كرة من القماش بحجم كرة اليد تقريباً ، يلعبها فريقان حيث يتم لعب الكرة باليد وتناقلها بين اللاعبين فإذا أصابت أحد لاعبى الفريق الآخر يخرج من اللعبة إلا إذا تمكن من التقاط الكرة فإنه يحوزها ويحق له بالتالى إصابة لاعب فى الفريق المنافس .

وهكذا يستمر اللاعب حتى يخرج أكثر لاعبى الفريق ، والفائز هو الذى يتمكن من إخراج أفراد الفريق الآخر أولاً .

ألعاب أخرى مختلفة :

لعبة (المطارح) وهى تشبه المصارعة ، ولعبة (المسابق) وهى العدو ، ومن ألعاب القوى أيضاً لعبة (النفت) وهى محاولة للقفز من جانب جدار مثلاً إلى الجانب الآخر إعتماداً على عضلات الساقين وحدهما .

(لعبة المطارح)

ولعبة (المقاضرة) وهى القفز أطول مسافة ممكنة من مكان مرتفع إلى أرض ترابية ناعمة .

ولعبة (التشبير) وهى أن يجلس إثنان متواجهين ويمدان أرجلهما المتشابكتان ويقوم ثالث بالقفز لأطول مسافة ممكنة .

(لعبة التشبير)

ولعبة (النباطة) وهى مشهورة بخاصة فى منطقة الرس وتستعمل للصيد.
وألعاب (الخطة) و(الصقلة) و(شد الحبل) و (نط الحبل) و(الأم والذئب) المعروفة فى مصر بـ (الغراب النوحى) ، والخاصة بالبنات والتى يلعبها الأولاد بمسمى (أبونا جانا) ، و (شريخ الشرخ) .

و(المقرعة) و(الغبيات) و(الأرجوحة) و(الكعابة) و(البرجو) و(الطبة) و (الحدل) .

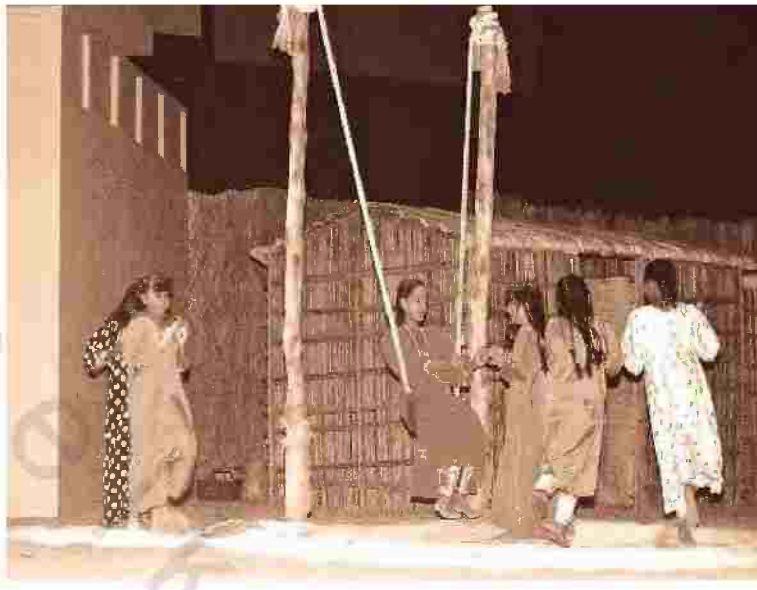

(طاق طاق طاقية)

و(طاق طاق طاقية) و (المرامى) و(سبع الحجر) و(الخنابة) و (المصاقيل) وهى غير الصقلة لعبة البنات ، فهذه اللعبة خاصة بالأولاد . و(العكز) و(شق القنا) ، و(الغميضة) ، و(الحبشة) .

لعبة قزيز يا هندى :

و(قزيز ياهندى) التى يردد فيها الأطفال : " قزيز يا هندى ، لبيك يا جندى ، عندك ما عندى .. إلخ " .

وهى تعتبر مع عدة ألعاب أخرى تمثيلاً مسرحياً غنائياً .

لعبة يا خالى يا دلالى :

ومثلها لعبة (يا خالى يا دلالى) الخاصة بالبنات اللائى يرددن :

" يا خالى ودلالى
يا مطرقى وزراري
العبد أبو طرباقة
يشرب حليب الناقة
يا خالى يا دلالى
يا مطرقى وزراري " .

لعبة أحوج حاحونى :

ولعبة (أحوج حاحونى) وهى للبنات أيضاً ويرددن :

" أحوج حاحونى
فى السوق ولاقونى
معهم ولد عمى
ليجا يخطب أمى
خطيبة قشرا
تلعب مع العشرا
أمى تنادينى
تبى تخلينى
فى عضيرة صينى

صينى على صينى " .

وربما دخلت لعبة (الأم والذئب) فى هذا الإطار التمثيلى الغنائى المبكر للأطفال ومعها لعبة (جاكم سليسل) ، و(سقلدح يا سقلدح) ، و(الكوكبا يا لكوكبا) .

(لعبة جاكم سليسل)

وهناك أيضاً من الألعاب الذهنية لعبة (الصبة) وتشبه لعبة الصف .
ولعبة (أم تسع) أو (القرق) الشبيهة بالسيجا ، ولعبة (ملطاخ) وهى أقل إثارة ويمارسها الصبيان والفتيات .

(لعبة الصبة)

(لعبة ملطاخ)

لعبة الحالوتة :

ولعبة (الحالوتة) وتتكون من ٢٨ حفرة وتعتمد على الذكاء ودقة تحريك الحصى وتمريرها عبر الحفر .

ولعبة ذهنية أخرى منقولة عن الهند تدعى (الكيرم) Carrom .

(لعبة الكيرم الهندى)

لعبة أولك يا إسكندرانى :

وفى بلاد الشام ما زلت تمارس عدة ألعاب ، ومن مجموعة لألعاب الأطفال لعبة (أولك يا إسكندرانى) حيث يقف مجموعة من الأطفال بشكل مستقيم فى وسط الساحة ويقوم أحد اللاعبين بالإنحناء بوضع يديه على ركبته ويقوم بقية اللاعبين بالصف وراء بعضهم البعض .

ويركض اللاعب الأول بإتجاه الشخص المنحنى ويضع يديه على ظهر، ويقفز ويقول :

أولك يا إسكندرانى ، ويقول المنحنى : ثانيك يا أبو العيون غزلانى .

وهكذا يستمر اللعب حتى يلمس جسد أحدهم ظهر المنحنى فيحل مكانه ومن ألعابهم (أقعد وقف) و (الدحل) و (الطميمة) و (اللمس) و(عيش)

و(خارج اللعبة) وتتكون من تسع لاعبين ويقوم أحدهم بضرب الكرة بالأرض ويتبادلونها باليد .

وإذا لمست قدم أحدهم يخرج من اللعبة حتى يبقى لاعب واحد يكون هو الفائز

وألعاب (أم عميش) و (الجاجة) و (نطة وزيدة) وهى من ألعاب القفز ، و (الدحل) ، و(المأذنة) و(القلعة) و (المقلاع) و(المنوأ) وتشبه لعبة الروليت Roulette ولكن فى صورة مبسطة .

و(البرجيس) (البرسيس) وهى قريبة من النرد ، و(الإدريسى) وتشبه الدامة ، و(المباطحة) وتشبه بعض أنواع المصارعة ، و(المكاسرة) و(السيف والترس) وهما من ألعاب الفروسية ، و (الطاقية) ، و (ضرب الكف) ، و(جمّال يا جمّال) .

لعبة الدوج :

و(الدوج) وتقوم على المهارة فى التصويب وأدواتها هى الحجارة فينتقى كل لاعب قطع حجرية بقدر قبضة الكف وتدعى الرأس وعنها يحدد كل لاعب رأسه

ويقومون بإنتقاء النكرة التى ستكون محور اللعب وهى عبارة عن قطعة حجرية بشكل طولى بمقدار ١٠ سم تقريباً .

بحيث توضع النكرة فى مكان معين ويحددون خط اللعب على بعد ٤٣ م .

ويلقى كل لاعب رأسه (حجر) بإتجاه النكرة دون إصابتها لتحديد تسلسل الدور .

وبعد رمى كل الرؤوس يحددون تسلسل الدور بقياس المسافات بين الرؤوس والنكرة ، فالأول هو الأقرب وتحدد المسافات عادة بالأقدام .

وبعد أن يعرف كل لاعب دوره يبتدأ بالأول وله الخيار بين ضرب النكرة مباشرة أو ضرب رؤوس الخصوم لإبعادهم عن النكرة ليعرقل جهودهم فى إصابتها عند لعبهم ويحق للاعب متابعة اللعب طالما أنه أفلح فى إصابة الهدف والفائز من يحقق إصابات أعلى ، ونقاط الإصابات هى مجموع المسافات التى تحسب له المسافات بالأقدام .

لعبة المنقلة :

ولعبة (المنقلة) ويلعبها إثنان ، وتحفر المنقلة فى التراب أو على الخشب أو تنقش على الحجر كتلك القطعة الأثرية التى وجدت منقوشة على الحجر فى بيروت .

والمنقلة عبارة عن صفين من الحفر كل صف فيه سبع حفر ، ولكل لاعب من اللاعبين تسعة وأربعون حصوة وتسمى كل حفرة فيها بـ (جورة) .

والمنقلة الخشبية تصنع من خشب الجوز عادة لمتانته وطولها من ٧٥ سم إلى ٨٠ سم وعرضها ٢٠ سم وثخانتها من ٤ سم إلى ٦ سم .

وفيها صفان من الحفر مقعرة ومجموعها سبع حفر وفى كل حفرة سبع حصوات ملساء صغيرة .

ويبدأ اللاعب بنقل الحصى من حفرة يختارها ويعرف مسبقاً عدد الحصى فيها ويبدأ اللعبة من الحفرة التى تقابله ولا يحق له اللعب بالحفر التى تقابل خصمه وله حق فى نقل حصاة واحدة إلى جهته فى حال لم يبق له أية حصوة .

أما توزيع الحصى فيتم بإتجاه معاكس لإتجاه حركة عقارب الساعة .

وللاعب أن يأكل الحصوات التى تكون فى آخر حفرة يصل إليها فى التوزيع وكل ما فى الحفر التى تسبقها إذا وجد من الحصى زوجاً أو زوجين .

ثم يبدأ الخصم باللعب ، ويستمر اللعب حتى ينتصر أحد الطرفين بما مجموعه خمسة حصوات .

وقد وصفت المنقلة وعدد حصواتها وجورها ولاعبيها حين قال أحد الدمشقين ملغزاً

أرملة ولها جوزين
عميا بأربعة عشر عين
عاقر ما تجيب أولاد
ولها مية إلا إثنين .

ألعاب الماء :

ومن ألعاب الماء أن يأخذ اللاعب قطعة حجرية أو حصاة مبسطة ويسأل منافسه : كم فارة فى بيت أبوك النقارة ؟

فيقول مثلاً خمسة ، عندها يضرب الحصاة بشكل معين بحيث تسير مع الماء مرتطمة به عدة مرات .

ويكون اللاعب رابحاً إذا إستطاع تحقيق الرقم الذى حدده منافسه سلفاً .

ومن ألعاب الفتيات (ضيفة وضيوف) و (خاشب شاب) و(الخطوبة) و (الدويرات) و (البلاطة) و(الطابة) .

لعبة الحدأة :

و(الشوحة) (الحدأة) وهى تمثل الصراع بين الطيور الجارحة والحيوانات الضعيفة ودفاع الأم عن صغارها .

تقف الفتاة وخلفها زميلاتها على شكل خط يمسكن بثياب بعضهن وتقف أمام الفتاة الأولى فتاة أخرى تواجهها تمثل الحدأة وتبدو بمظهر المهدد بإختطاف الصغار الواقفين خلف أمهم .

ويبدأ الصراع بحوار بين الحدأة والأم ولكن بحسب تقاليد اللعب لا يحق لها أن تخطف إلا آخر طفل فى الصف .

وتحاول الأم التحرك بوجهها لحماية أطفالها ، وبعد إختطاف آخر طفل فى الصف تتكرر المحاولة لإختطاف بقية الصغار .

لعبة أمنا الغولة :

ولعبة أمنا الغولة وهى أيضاً من الألعاب المصحوبة بالغناء وتنتشر فى الريف المصرى .

حيث يصنع الأطفال دائرة يجلس أحدهم بداخلها ويصبح هو (الغولة) وباقى الأطفال يشكلون حوله حلقة متشابكى الأيدى يجرون داخل الدائرة وهم ينادون

على الغولة ويسألونها وهى تجيب عما تفعله إلى أن يأتى الأطفال عند كلمة :
تاكلى مين ؟
فتقوم هى بنطق إما إسم أحد الأطفال وإما بذكر نوع من أنواع الفاكهة أو الخضراوات التى سمى الأطفال بأسمائها .
وعند ذكر هذا الإسم يجرى صاحبه وتجرى وراءه الغولة فى محاولة للحاق به ومسكه كى يصبح هو الغولة بعد ذلك .
والأغنية باللهجة العامية المصرية هى :
يامنا الغولة طقطقى الغولة بتعملى إيه ؟
بغسل وشى !
علشان إيه ؟
علشان أشوفكم !
وكمان إيه ؟
بغسل إيدى !
علشان إيه ؟
علشان أمسكم !
وكمان إيه ؟
بغسل بقى !
علشان إيه ؟
علشان أبوسكم !
وكمان إيه ؟
بغسل رجلى !
علشان إيه ؟
علشان آجى لكم !
وكمان إيه ؟
بسن أسنانى !
علشان إيه ؟

علشان آكلكم !

تكلى مين ؟

التفاحة !

فروسية العرب :

وفى عصورهم القديمة كان العرب يفاخرون بجيادهم ولذلك كانوا كثيراً ما يعقدون المقارنات بينها .

وعندما كان يرغب فارسان فى مقارنة جواديهما كان يودع كل منهما رهناً متفقاً عليه عند ثالث .

وهو ما يوضحه إبن الكلبى فى كتابه الخيل حيث يقول : " كانت العرب تراهن على سباق خيلها ويعدون ذلك فخراً يتمادحون بسببه ، وكان من عاداتهم أنه إذا سبق الفرس الحلبة وبرز قلدوه شيئاً ليعرف أنه سبق وسموه المقلد " .

سباق داحس والغبراء :

ولعل أقرب مثال على ذلك السباق التاريخى بين الفرس داحس والجواد الغبراء الذى كان سبباً فى نشوب حرب ضروس بين قبيلتى عبس وذبيان تلك الحرب التى إستعر أوارها قرابة الأربعون سنة .

والحكاية تبتدأ حين كان عند (حذيفة بن بدر الذبيانى) وأخيه (حمل) خيولاً لم يكن فى العرب مثلها وقد زار (الورد العبسى) (حذيفة) فعرض عليه حذيفة خيله .

فقال الورد : ما أرى فيها جواداً غالباً .

فقال حذيفة : وعند من هذا الجواد ؟

فقال : عند قيس بن زهير .

فقال حذيفة : هل تراهن على ذلك ؟

فقبل الورد الرهان على ذكر وأنثى .

ثم أتى قيساً فقال له : لقد راهنت على فرسين من خيلك .
فقال له : ما أبالى من راهنت غير حذيفة .
قال : ما راهنت غير؛ .
ثم سار قيس إلى حذيفة وتم تحديد السباق بموضع (ذات الآصاد) وتحديد المسافة بمائة غلوة .
وشارك حذيفة بخاطر والحنفاء وشارك قيس بداحس والغبراء وأقام حذيفة رجلاً من بنى أسد فى طريق السباق وأمر؛ أن يعترض طريق داحس فسقط بفارسه . وجاء ترتيب السباق : الغبراء فخاطر فالحنفاء فداحس .
ثم عرف قيس بالخدعة وأنكر حذيفة الأمر لكن الرجل الذى إعترض طريق داحس إعترف .
وأرسل حذيفة إبنه (ندبة) مطالباً قيساً بالرهان عشرون ناقة فرفض قيس ونشبت الحرب .

صور من فخر العرب بخيولهم :

ولعل أروع بيت شعر تتمثل فيه تلك التشيكلة بين فرسان عديدين فى ميدان معركة ذلك البيت الذى يفاخر فيه إمرؤ القيس بجواده حيث يقول :

مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السل من عل

وكذلك من وصف زهير بن أبى سلمى لجنود هرم بن سنان فى ميدان المعركة فيقول :

ألم إبن سنان كيف فضله ما يشترى فيه حمد الناس بالثمن
وحبسه نفسه فى كل منزلة يكرهها الجبناء والضاقة الطعن
حتى إذا ما إلتقى الجمعان وإختلفوا ضرباً كنخت جذوع النخل بالسفن
يغادر القرن مصفراً أنامله يميل فى الرمح ميل المائح الأسن

وجواد إمرؤ القيس يمتلك كل الصفات من السرعة والصبر والقدرة على التعامل أيضاً فى معمعة الصيد فى الكر والفر :

له أيطلا ظبى وساقا نعامة وصهوة عير قائم فوق مرقب

فيشبعه بالتشبيهات والوصف والإعجاب وكأنه جزء من حياته ، فهو نشيط وسريع يلحق بالوحوش النافرة ويمكنه من طعن الطريدة طعنة قاتلة لإقترابه الشديد منها ، إذ أن دماء الطرائد المتدفقة منها تضرج صدر، ونحر، كالحناء لأنه لا يتوانى من الإقتراب منها :

كأن دماء الهاديات بنحر، عصارة حناء بشيب مرجل

ثم يستطرد فى لحاقه لبقر الوحش والنعاج وبراعته الفائقة وصيده للفريسة دون عرق أوتعب بعدما تفرق القطيع فرادى وجماعات فيقول :

فعادى عداء بين ثور ونعجة دراكاً ولم ينضح بماء فيغسل

لكنه فى موضع آخر راح يزجر فرسه ويضربه ويستحثه على العدو لكى يدرك طريدته :

فالسوط ألهوب والساق درة وللزجر منه وقع أهوج منعب

وبخلافه ينشد علقمة بن عبدة :

فأدركهن ثانياً من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب

فأدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه ولم يضربه بسوط ولا مراه بساق ولا زجر، ولمه يضربه وقد كانت خيولهم تنال من التمرين على الصيد أشواطاً بعيدة كما فى قول أحد الصعاليك :

من الجرد السوابح مرتته على المعزاء غارات الطراد

يغادر ناشر التلعات دكاً ويسلك فى العقاب وفى الوهاد

متى أرم النعام به مفيراً فقد رميت بذاهبة نآد

وقال زهير بن أبى سلمى يصف سرعة فرسه :

ولقد غدوت على القنيص مثل الوذيلة جرسغ لأم

قيد الأوابد ما يغيبها كالسيد لا ضرع ولا قحم

طغل كسافلة القناة من الـ مران ينفى الخيل بالعذم

أما فصالة بن هند بن شريك الأسدى فيحث فرسه(ناصح) ليأتى سابقاً بحق رعايته له وإيثار، إياه فيقول :

أناصح شمر للرهان فإنها غداة حفاظ جمعتها الحلائب

أتذكر إلباسيك فى كل شتوة زنائى وإطعاميك والبطن ساغب

وغالباً ما تأتى صورة الخيل المسترسلة بصورة البرق اللامع :

جاء كلمع البرق يسمو ناظر، تسبح أولاه ويطفو آخر،

وبصورة السيل العاتى :

وخيل كأسراب القطا قد وزعتها لها سبل فيه المنية تلمع

ويقول إمرؤ القيس :

وولى كشوبوب العشى بوابل ويخرجن من جعد ثراه منصب

خفاهن من أنفاقهن كأنما خفاهن ودق من عشى مجلب

ويقول علقمة :

فأتبع أثار الشياه وليدنا حثيث كغيث الرائح المتحلب

خفى الفأر من إنفاقه فكأنما تخلله شوبوب غيث منقب

منزلة الخيل عند العرب :

ومن العار أن يفرط فى الخيل أوتعار فهاهو عبيدة بن ربيعة التميمى يطلب منه أحد ملوك العرب فرسه (سكاب) فيرد عليه حازماً :

أبيت اللعن إن سكاب علق نفيس لا تعار ولاتباع

مفداة مكرمة علينا يجاع لها العيال ولا تجاع

سليلة سابقين تناجلاها اذا نسبا يضمها الكراع

فلا تطمع ابيت اللعن فيها ومنعكها شيئ يستطاع

ويصف عمير بن جبل البجلى مبلغ إكرامه لفرسه فيقول :

ياليت شعرى وليت أهلى أرما هل يجزينى بما أبليته العرن

أقفيته دون أهلى مايسر به له حليب وتارات له لبن

كأنه وجياد الخيل تطلبه مطلق الريس فى أظفار، حجن

طاو رأى أرنباً فإنقض يطلبها ودونها من أعالى غائط شزن

نعم إلى هذا الحد بلغ تكريم العرب للخيل لقد كانت تنال تكريمهم إلى درجة تفضيلها على أولادهم وأنفسهم ، يقول عامر بن مالك :

وسابح كعقاب الدجن أجمله دون العيال له الإيثار واللطف

وربيعة بن مقروم ينزل هو الآخر جواده منزلة أسمى من العيال ، فهو العون فى الحرب والدرع حين يشتد البأس :

وثغر مخوف أقمنا به يهاب به غيرنا أن يقيما
جعلنا السيوف به والرماح معاقلنا والحديد النظيما
وجزناً يقربن دون العيال خلال البيوت يلكن الشكيما
تعود فى الحرب أن لا براح إذا كلمت لا تشكى الكلوما

ويقول الجاحظ فى سياق حديثه عن العلم وإيثار الكتب :

" حتى يؤثر إتخاذ الكتب إيثار الأعرابى فرسه باللبن على عياله وحتى يؤمل فى العلم ما يؤمل الأعرابى من فرسه " .

ولمنزلة الخيل عند العرب وإعزازهم إياها كانت تقتص من لطمة الفرس وتطلب الثأر فيه كما تطلبه فى أنفسها :

ونهدة يلطم الجانى بلطمتها كأنها ظل برق بين أرماح

ويقول زيد الخيل الطائى وكان يسهر على فرسه أيام الشتاء :

أسويه بمكنف إذا إشتونا وأوثر، على جل العيال

لقد كانوا يدفئونها فى الليالى البارة فيقول عنترة بن شداد :

وأدفئه إذا هبت شمالاً بليل حرجفاً بعد الجنوب
أراه أهل ذلك حين يسعى رعاء الحى فى طلب الحلوب

ويئوب فيقول فى فرسه (جروة) :

ومن يك سائلاً عنى فإنى وجروة لا تزود ولا تعار
مقربه الشتاء ولا تراها وراء الحى يتبعها المهار
لها بالصيف أصيرى وجل ونيب من كرائمها غزر

ويقول جعفر بن أبى كلاب :

أربغونى إراغتكم فإنى وحذفة كالشجا تحت الوريد
أسويها بنفسى أو بجزء فألحفها برائى فى الجليد

وكما تجلل الخيل فى الشتاء تجلل أيضاً فى الصيف برداء يقيها شدة الحر يقول

النابغة الذبيانى :

يفرعلى العدو بكل طرف وسلهبة تجلل فى السمام

ويمدح الأعشى النعمان بن المنذر لنفس المعنى:

ويأمر لليحموم كل عشية بقت وتعليق وقد كاد يسنق

يعالى عليه الجل كل عشية ويرفع نقلاً بالضحى ويعرق

وفى نفس المعنى أيضاً يقول طليحة بن خويلد الأسدى فى فرسه (الحمالة) :

نصبت لها ظهر الحمالة إنها معودة قيل الكماة نزل

فيوماً تراها فى الجلال مصونة ويوماً تراها غير ذات جلال

ويصف عنترة بن شداد حبه وتكريمه لحصانه إلى الحد الذى كان فيه يلوذ عنه أثناء القتال :

أقيه بنفسى فى الحروب وأتقى لهادية إنى للخليل وصول

ولم يأت هذا الإيثار والإهتمام إعتباطا فالفرس أكبر معين لصاحبه على عدوه ومن ذلك قول كعب بن مالك :

وتعد للأعداء كل مضمر ورد ومحجول القوائم أبلق

أمر المليك بربطها لعدوه فى الحرب إن الله خير موفق

فتكون غيظاً للعدو وحائطا للدار إن دلفت خيول المرق

ومن ذلك قول إمرؤ القيس :

الخير ما طلعت شمس وما غربت مطلب بنواصى الخيل معصوب

قد أشهد الغارة الشعواء تحملنى جرداء معروقة اللحيين سرحوب

كأن هاديها إذ قام يلجمها قعو على بكرة زوراء منصوب

وقول علقمة بن شيبان :

لقد شهدت الخيل يوم طرادها فطعنت تحت كنانة المتمطر

ونطاعن الأبطال عن أبنائنا بصائرنا وإن لم تبصر

ولقد رأيت الخيل شلن عليكم شول المخاض أبت على المتغبر

ويتوعد عنترة بن شداد عدوه النعمان بن المنذر عن فروسية خالصة فيقول أسود غاب ولكن لا ينوب لهم إلا الأسنة والهندية القضب

تعدو بهم أعوجيات مضمرة مثل السراجين فى أعناقها القبب
ما زلت ألقى صدور الخيل مندفقاً بالطعن حتى يضج السرج واللبب
فالعمى لو كان فى أجفانهن نظروا والخرس لو كان فى أفواههم خطبوا
والنقع يوم طراد الخيل يشرح لى والضرب والطعن والأقلام والكتب

ويصف عنترة من ثم فرسه حسب المعارك ، فإذا كانت الحرب فى البيداء فإن فرسه كعقاب الجو ، وإذا كانت المعركة قريبة من البحر فهى كالسفينة ، فيقول :

وخيل قد لبست بجمع خيل على شقاء عجلزة وقاح
يشبه شخصها والخيل تهفو هفواً ظل فتخاء الجناح
إذا خرجت يداها من قبيل يممها قبيلاً ذا سلاح
أجالد صفهم ولقد أرانى على قرناد تسجد للرياح
معبدة السقائف ذات دسر مضبرة جوانبها رداح

أما إذا كانت المعركة قبيل الهجير فصفاتها مختلفة :

ولقيت فى قبل الهجير كتيبة فطعنت أول فارس أولاها
وضربت قرنى كبشها فتجدلا وحملت مهرى وسطها فمضاها
حتى رأيت الخيل بعد سوادها حمر الجلود خضبن من جرحاها
يعثرن فى نقع النجيع جوافلا ويطأن من حمى الوغى ضرعاها
فرجعت محمولاً برأس عظيمها وتركتها جزراً لمن ناداها

وإذا حمى وطيس المعركة وإستعر أوارها فلهذا الفرس صفات متباينة وأخلاق لا ترى إلا فى هذا المشهد :

وله حوافر موثق تركيبها صم النسور كأنها من جندل
وله عسيب ذو سيب سابغ مثل الرداء على الغنى المفضل
وكأن مشيته إذا نهنهته بالنكل مشية شارب مستعجل
سلس العنان إلى القتال فعينه قبلاء شاخصة كعين الأحول
فعليه أقتحم الهياج تقحما فيها وأنقض إنقضاض الأجدل

وليس فى الحرب وحدها بل هو معين على مشاق السفر والترحال كقول أبو داوود الأيادى :

علق الخيل حب قلبى مقلاً وإذا ثاب عندى الإكثار
علقت همتى بهن فما يمنع منى الأعنة والإقتار
جنة لى فى كل يوم رهان جمعت فى رهانها الإدسار
وانجرادى بهن نحو عدوى وارتحال البلاد والتسيار

وإن كان عنترة بن شداد يقى فرسه حين يشتد الضرام فإنه يشهد :

جزى الله الأغر جزاء صدق إذا ما أوقدت نار الحروب
يقينى باللبان ومنكبيه وأحميه بمطرد الكعوب

والفرس أوفى الأصحاب لصاحبه فها هو مالك بن الريب يرثى نفسه ويذكر وفاء حصانه :

تذكرت من يبكى على فلم أجد سوى السيف والرمح الرنينى
وأشقر خنذيد يجر عنانه إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا

وكان الخيل مبعث فخر العرب فيقول الشيظم الغسانى يمدح أحد ملوك الغساسنة

يا صاحب الخيل الجياد المقربة وصاحب الكتيبة المكوكبة

وينشد عنترة أيضاً مخاطباً محبوبته عبل ومفاخراً بخيله :

سل الخيل يا إبنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمى
يخبرك من شهدالوقيعة أنى أغشى الوغى وأعف عند المغنم
يدعون عنترة والرماح كأنها أشطان بئر فى لبان الأدهم
فإزور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتحمحم
لو كان يدرى ما المحاورة إشتكى ولو علم الكلام مكلمى

فيجعل من فرسه بطلاً إلى درجة تصور، حيواناً ناطقاً مثل البشر يحاور، ويشكو إليه آلامه .

وأى فخر تراه بعد قول الأعرابى :

من تكن الحضارة أعجبته فأى رجال بادية ترانا
ومن ربط الجحاش فإن فينا قنا سلباً وافراس حسانا

ونعود لعنترة حين يمضى أيضاً مفاخراً :

والخيل تعلم والفوارس أننى شيخ الحروب وكهلها وفتاها

يا عبل كم من فارس خليته في وسط رابية يعد حصاها

ياعبل كم من حرة خليتها تبكى وتنعى بعلها وأخاها

ويصف فرسه وخروجه إلى الصيد :

إذا أقبلت قلت دباءة من الخضر مغموسة فى الغدر

وإن أدبرت قلت أثفية ململمة ليس فيها أثر

وإن أعرضت قلت سرعوفة لها ذنب خلفها مسبطر

والسوط فيها مجال كما تنزل ذو برن منهمر

ويقول أيضاً :

مخش مجش مقبل مدبر معاً كتيس ظباء الحلب العدوان

وكان بعضهم يعير الآخر على عدم إهتمامه بخيوله ، ولا نغادر عنترة فنراه يهجو قوماً أهملوا خيلهم :

إبنى ذبيبة ما لمهركم متخراً وبطونكم عجر

ألكم بآلاء الوشيج إذا مر الشياه وبوقعة جر

إذ لا تزل لكم مغرغرة تغلى وأعلى لونها صهر

لقد كان العرب يأنفون أن يدنس صهوات خيلهم من لا يستحق إمتطاؤها كما يقول الأشهب بن رميلة :

يا عجباً هل يركب القين الفرس وعر القين على الخيل نجس

وإنما أداته إذا جلس الكلبتان والعلاة والعنس

وقال بعض حكماء العرب : " ثلاثة لايأنف الشريف من خدمتهم : الولد والضيف والفرس " .

حتى بلغ بهم القول : " نحن أمة أسوارنا سيوفنا ومعاقلنا خيولنا "

وضمن المزرد بن ضرار الذبيانى هذا المعنى شعراً فقال :

خروج أضاميم وأحصن معقل إذا لم تكن إلا الجياد معقل

وكانت الخيل ثروة لا تعدلها ثروة فنجد الخنساء تحض قومه من بنى عامر على المحافظة عليها والإهتمام بها فيقول :

بنى عامر مالى أرى الخيل أصبحت بطاناً وبعض الضمر للخيل أفضل
بنى عامر إن الخيول وقاية لأنفسكم والموت مؤجل
أهينوا لها ما تكرمون نفوسكم إذا ثار من وقع السنابك قسطل

ونقرأ قول طفيل الغنوى :

إنى وإن قل مالى لا يفارقنى مثل النعامة فى أوصاله طول
أو ساهم الوجه لم تقطع أباجله يصان وهو ليوم الروع مبذول

ومن ذلك قول إسماعيل بن عجلان :

ولا مال إلا الخيل عندى أعده وإن كنت من حمر الدنانير موسر
أقاسمها مالى وأطعم فضلها عيالى وأرجو أن أعان وأوجرا
وإذا لم يكن عندى جواد رأيتنى ولو كان عندى كنز قارون معسرا

وقول الأسعر بن حمران الجعفى :

ولقد علمت على تجنبى الردى أن الحصون الخيل لا مدر القرى
إنى وجدت الخيل عزاً ظاهراً تنجى من الغما ويكشفن العمى

وقول علقمة بن عمرو المازنى :

ما كنت أجعل مالى فرغ سانية فى رأس جذع يصب الماء فى الطين
الخيل من عدتى أوصى الإله بها ولم يوص بغرس فى البساتين
كم من مدينة جبار أطفن بها حتى تركن الأعالى كالميادين

وقال قيس بن الحارث :

لا تقصياً مرابط الشقراء منتبذاً فإن ريب الدهر مرهوب
كم من فقير بإذن الله قد نعشت ومترف تركته وهو مجدوب

أما الأخنس بن شهاب التغلبى فالخيل عنده المال والجاه ، كما أنها رمز الحرية والشرف ، فيقول :

ونحن أناس لا حجاز بأرضنا مع الغيث ما نلقى ومن هو غالب

ترى رائدات الخيل حول بيوتنا

كمعزى الحجاز أعجزتها الزرائب فيغبقن أحلاباً ويصبحن مثلها

فهن من التعداء قب شوازب　　فوارسها من تغلب إبنة وائل
حماة كماة ليس فيها أشائب　　بجأواء بنفسى ورهاها سرعانها
كأن وضيح البيض فيها الكواكب　　أرى كل قوم قاربوا قيد فحلهم
ونحن خلعنا قيده فهو سارب

وقالوا أيضاً :

أحبوا الخيل واصطبروا عليها　　فإن العز فيها والجمالا
إذا ما الخيل ضيعها أناس　　ضممناها فأشركت العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم　　ونكسوها البراقع والجلالا

وليس أروع فى هذا الشأن من قول حاتم الطائى :" سأدخر من مالى دلاصاً وسابحاً وأسمر خطياً وعضباً ومهنداً وذلك يكفينى من المال كله مصوناً إذا ما كان عندى متلداً " .

فالعربى لا يريد أن يدخر شيئاً سوى فرسه وسلاحه .

غزل العرب فى الخيل :

وهنا يشهد الجاحظ : " ولم تكن أمة قط أشد عجباً بالخيل ولا أعرف بها من العرب " .

وفى وصف الفرس فى شكله وهيأته يقول أبو ميمون العجلى :

الخيل منى أهل ما يدنين　　وأن يقربن ولا يقصين
وأن يبأبأن وأن يفدين　　وأن يكون المحض مما يسقين
وأهل أن يعلين أو يغالين　　بالطرف والتلد وأن لا يجفين
وأهل ما صحبنا أن يقفين　　وأهل ما أعقبننا أن يجزين
أليس عز الناس فيما أبلين　　والحسب الزكى إذا ما يقنين
والأجر والزين إذا ريم الزين　　كم من كريم جده قد أعلين
وكم طريد خائف قد أنجين　　ومن فقير عائل قد أغنين
وكم برأس فى لبان أجرين　　وجد للعاقيات أجرين
وأهل حصن ذى إمتناع أرزين　　وكم لها فى الغنم من ذى سهمين

يكونوا فيما إقتسموا كالرجلين وكم وكم أنكحن من ذى طمرين
بغير مهر عاجل ولا دين والخيل والخيرات فى قرينين
لا تشتكين عملاً ما أنقين مادام مخ فى سلامى أوعين

ما بلل الصوفة ماء البحرين

وفى نفس السياق يمضى شاعر من قبيلة ضب واصفاً فرسه فيقول :

متقاذف عبل الشوى شنج النسا سباق أندية الجياد عميثل

وإذا تعلل بالسياط جيادها أعطاك نائله ولم يتعلل

وعنترة يصف فرسه وصفاً شاملاً لذا تتعدد صفاتها فيقول :

نهدة القطاة كأنها من صخرة ملساء يغشاها المسيل بمحبل
وكأن هاديه إذا إستقبلته جذع أذل وكان مولجين لجيأل
وكأن متنيه إذا جرزته ونزعت عنه الجل متناً أيل

ويأتى وصف الخيل رشيقاً فى حديث جوار طريف الخمس ، يجمع بين تباين أوصاف الخيول وميزتها ، حيث ورد فى الأمالى قوله : " إجتمع خمس جوار من العرب فقلن : هلمن نصف خيل آبائنا !

فقالت الأولى : فرس أبى وردة !

وما وردة ؟

ذات كفل مزحلق ، ومتن أخلق ، وجوف أخوق ، ونفس مروح ، وعين طروح ورحل ضروح ، ويدج سبوح ، بداهتها إهذاب ، وعقبها غلاب .

وقالت الثانية : فرس أبى اللعاب !

وما اللعاب ؟

غبية سحاب ، واضطرام غاب ، مترس الأوصال ، أشم القذال ، ملاحك المحال فارسه مجيد ، وصيده عتيد ، إن أقبل فظبى معاج ، وإن أدبر فظليم هداج ، وإن أحضر فعلج هراج .

وقالت الثالثة : فرس أبى حذمة !

وما حذمة ؟

إن أقبلت فقناة مقومة ، وإن أدبرت فأثفية ململمة ، وإن أعرضت فذئبة معجرمة ، أرساغها مترصة ، وفصوصها ممعصة ، جريها إنثزار وتقريبها إنكدار .

وقالت الرابعة : فرس أبى خيفق !

وما خيفق ؟

ذات ناهق معرق ، وشدق أشدق وأديم معلق ، لها خلق أشدفه ، ونسيع منفنف ، وتليل مسيف ، وثابة ولوج ، خيفانة روج ، تقريبها إهماج ، وحضرها إرتعاج

وقالت الخامسة : فرس أبى هذلول !

وما هذلول ؟

طريده محبول ، وطالبه مشكول ، رقيق الملاغم أمين المعاقم ، عبل المحزن ، فخذ مرجم ، منيف الحارك ، أشم السنانك ، مجدول الخصائل ، سبط الفلائل ، غوج التليل ، صلصال الصهيل ، أديمه صاف ، وسبيبه ضاف ، وعفوه كاف "

أشهر الفرسان العرب :

كما كان الناشئ من ابناء العرب لا يكاد يصل إلى الثامنة من عمره حتى يحتم عليه ركوب الخيل والدربة على فن الفروسية ، فإذا بلغ الناشئ أشده كان فارساً كمن عرف من الفرسان البواسل من أمثال ، زيد الخيل الذى قدم على النبى (ص) سنة تسع للهجرة فأسلم فسماه زيد الخير ، وعامر بن مالك ، وعامر بن الطفيل القائل :

طلقت إن لم تسألى أى فارس حليك إذا لاقى صداء وخثعما

أكر عليهم دعلجاً ولبانه إذا ما إشتكى وقع الرماح تحمحما

وعمرو بن معدى كرب القائل :

ولما رأيت الخيل زمراً كأنها جداول زرع أرسلت فإسبطرت

فجاشت الى النفس اول مرة فردت على مكروهها فاستقرت

علام تقول الرمح يثقل عاتقى اذا أنا لم أطعن اذا الخيل كرت

ومن فرسانهم البواسل أيضاً ممن خلدتهم الذاكرة العربية : دريد بن الصمة ، وأمية

بن حرثان الكنانى ، وعمرو بن كلثوم ، والشنفرى ، ومهلهل بن ربيعة ، وعنترة بن شداد .

ومن أعلام الفرسان الذين ظهروا بعد ذلك وكانت تروى حول مغامراتهم وبطولاتهم الأساطير معن بن زائدة وأبو دلف العجلى وعمر بن منيف الذى قيل أنه خرج ذات يوم للصيد فتتبع حماراً وحشياً ومازل يركض بفرسه حتى حاذاه ثم جمع رجليه ووثب على ظهر، وأخذ يحز عنقه بسكينه وهو يقاوم بعنف حتى ذبحه .

عناية العرب بخيولهم :

لقد أعطى العرب القدامى الخيل مكانة عظيمة ومن بالغ عنايتهم بالخيل أن إختصوها بالرعاية الطبية وجعلوا لها نظاماً متكاملاً للغذاء والحمية وسموه الدواء ولعل تسمية الدواء جاءت من هنا .

أنساب الخيل :

ومن عظيم إهتمامهم بخيلهم وحرصهم على المحافظة على نجابتها وأصالتها أن عنوا بأنسابها ، قال طفيل الخيل :

بنات الوجيه والغراب ولاحقاً وأعوج تنمى نسبة المنتسب

وهى من أجود ما عرف من فحول خيل العرب وقد أطلق العرب على الخيل أسماء متعدده ربما بلغت ألف إسم فى لغتهم .

فقد كانوا يحتفون بنتاج الخيل ويهنئون بفرس تنتج وفى ذلك قول الخرنق :

من غير فحش يكون بهم فى منتج المهرات والمهر

وكان المرء إذا تحدث عن أصله فإنه يشبه به أصالة الخيل الكريمة وتشير حميدة بنت النعمان إلى ذلك وهى تصف زواجها من الحجاج الثقفى :

وما أنا إلا مهرة عربية سليلة أفراس تحللها نغل

فإن نتجت مهراً فلله درها وإن يك إقرافاً فما أنجب الفحل

وإذا المرء تحدث عن نفسه مفتخراً قرن ذلك بإشادته وفخر، بفرسه ، فجابر بن حنى يفخر يفاخر بنفسه وفرسه أزيم فيقول :

هذا أوان الشد فإشتدى زيم قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعى إبأل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم

أول ما عرف من خيل العرب :

وقصة الخيل وأنسابها تبتدأ مع العرب حين كان النبى داود مدجناً لها شغوفاً بها وقد جمع منها ألف فرس ورثها عنه بعد ذلك إبنه سليمان الحكيم الذى قال فيها : " ما أورثنى داود مالاً أحب إلى من هذه الخيل " .

ويقال أن سليمان طلب عرضها عليه ذات يوم بعد صلاة الظهر فمر به وقت العصر وهو يعرضها ثم إنتبه فذكر الصلاة وإستغفر الله " نعم العبد إنه آواب " فقال : " ردوها فطفق مسحاً بالسوق والأعناق " أى أنه طفق يضرب سوقها أسفاً على ما فاته من وقت الصلاة ، ولم يزل سليمان معجباً بالخيل محباً لها حتى مات .

ويروى إبن الكلبى :" أن أول ما إنتشر فى العرب من تلك الخيل أن قوماً من الأزد من أهل عمان قدموا على سليمان بعد زواجه من بلقيس ملكة سبأ فقالوا : " إن بلدنا شاسع وقد أنفقنا من الزاد مر لنا بزاد يبلغنا بلادنا " .

فدفع إليهم سليمان فرساً من أفراسه وقال : هذه زادكم فإذا نزلت فإحملوا عليه رجلاً وأعطوه مطراداً . أى رمح صغير يطعن به الحمار الوحشى . وأوروا ناركم فإنكم إن تجمعوا حطبكم وتوروا ناركم حتى يأتيكم الصيد " .

فجعل الأزديون لا ينزلون منزلاً إلا حملوا على فرسهم رجلاً بيده مطراداً وإحتطبوا وأوروا نارهم فلا يلبث ان يأتيهم بصيد من الظباء والحمر الوحشية فيكون معهم ما يكفيهم ويشبعهم

فقالوا : ما لفرسنا هذا إسم إلا (زاد الراكب) .

فكان أول فرس إنتشر فى العرب من تلك الخيل فلما سمعت بنو تغلب جاءوهم فإستطرقوهم فنتج لهم من زاد الراكب الهجيس فكان أجود من زاد الراكب .

ثم توالت الأنساب بين خيول العرب من سلالة زاد الراكب فكان منها الدينارى وأعوج وسبل وذو العقال وجلوى والحرز إلى أن كانت منه سبعة وخمسون فرساً معروفة .

عقر الخيول على مقابر العظماء :

وهناك صورة غريبة حفظها تراث العرب وهى عقر الخيل على قبور الموتى من الأشراف وتلطيخ قبورهم بدمائها فكأنما هانت عليهم الخيل لعظم المصيبة ومن ذلك قول زياد الأعجم فى رثاء المغيرة بن المهلب :

فإذا مررت بقبر، فأعقر بـه كوم الهجان وكل طرف سابح
وانضح جوانب قبر، بدمائها فلقد يكون أخادم وذبائح

لكن هل هانت الخيل حقاً فها هى (النحام) فرس الشاعر السليك حين تموت يرثيها باكياً :

كأن قوائم النحام لما تحمل صحبتى أصلاً محار
على قرماء عالية شواء كأن بياض غرته خمار
وما يدريك ما فقرى إليه إذا ما القوم ولوا أو أغاروا

ظهور السرج :

أما عن تاريخ ظهور السرج عند العرب فقد أخبرنا إمرؤ القيس أن فرسه بات مسرجاً ملجماً قائماً بين يديه مرسل إلى المرعى فقال :

فبات عليه سرجه ولجامه وبات بعينى قائماً غير مرسل

ويقول السليك فى النحام :

قدم النحام وأعجل يا غلام وأقذف السرج عليه واللجام

وأخبرنا عنترة بن شداد أنه كان يستوطئ سرج فرسه كما يستوطئ غير، الحشية فقال :

وحشيتى سرج على عبل الشوى نهد مراكلة بنيل المحزم

وشبه شبيب بن البرصاء رحل ناقته بسرج الخيل فقال :

كأن رحال الميس فى كل موقف عليها ناجوان الفلاة سروج

نعم فثقافة الأعراب عملية تخص الإبل ورعايتها وأوصافها .

صور من الرياضة فى مصر القبطية :

ونعود إلى عرب وادى النيل دراكاً لنرى أن الفروسية قد نجت من غائلة العنف

الرومانى فصورت على موٰد الفنون القبطية وإن نفذت فى الغالب بشكل بدائى فمثلاً ظهرت رسوم للخيل على موٰد من الرخام فى حالة عدو سريع وأحدهما ينظر إلى الخلف أما الآخر فينظر إلى الأمام .

كما صورت ألعاب الفروسية على المنسوجات القبطية فظهرت على ستارة منسوجة بخيوط الصوف ونفذت بطريقة (القباطى) ترجع إلى القرن السابع الميلادى ، ويتضح منها منظراً لفارس يمسك فى يده اليمنى حربة والقسم العلوى يظهر فيه رسماً لفارس يعدو بجواده .

وإن كان المسرح الرومانى بكوم الدكة بالإسكندرية والذى تم بناءه فى القرن الرابع الميلادى ويتكون من ثلاثة عشر مدرجاً من الحجر الجيرى على شكل نصف دائرى ويضم حمامات رومانية هو الشاهد الأخير على عنف الرومان فى ممارساتهم الرياضية .

فالحق أنه بعد يقظة الغزة الرومان فكروا فى إنقاذ البشرية من بعض الألعاب الدموية التى كانت تفضى بأرواح ممارسيها بدأت رياضات العرب العريقة ذات القوانين الراسخة تعود إلى الساحة فنرى منظراً للهوكى على قاعدة من الرخام ويظهر عدد من لاعبى عرب وادى النيل وقد إصطفوا إلى قسمين على جانبين ويظهر بالوسط إثنين منهم وقد أمسكا بالعصى المعقوفة بينما ينتظر الباقون بدء المباراة ، وتلك القاعدة الرخامية محفوظة فى المتحف الوطنى بأثينا وتعود إلى نهاية القرن السادس الميلادى .

كما يوجد تمثالاً لرياضة المصارعة فى تلك الحقبة من تاريخ الرياضة العربية حيث يظهر مصارعان وقد إشتبكا وهو محفوظ بمتحف طنطا .

وعلى أحد الأوانى المحفوظة بالمتحف اليونانى الرومانى (١٣) بالإسكندرية يظهر ثلاث أشخاص وهم فى حالة عدو .

وربما كانت هذه الآنية تخصص للفائزين فى السباقات ، وعلى إحدى القطع الخشبية المحفوظة بالمتحف القبطى بالقاهرة منظراً رائعاً يمثل السباحة .

وقبل الفتح الإسلامى لمصر كان حاكمها المقوقس يركب لممارسة الصيد وهناك عدة صور تمثل رياضة الصيد عند عرب وادى النيل ، فتوجد قطعة مستطيلة من

الحجر تعود إلى القرن السادس الميلادى حيث يظهر عليها منظراً لصياد ممسكاً بقوس وقد شد سهمه نحو حيوان مستديراً بظهر، وهو فى حالة فزع ورعب شديدين ، وهذه القطعة الحجرية محفوظة بالمتحف القبطى (١٤) .

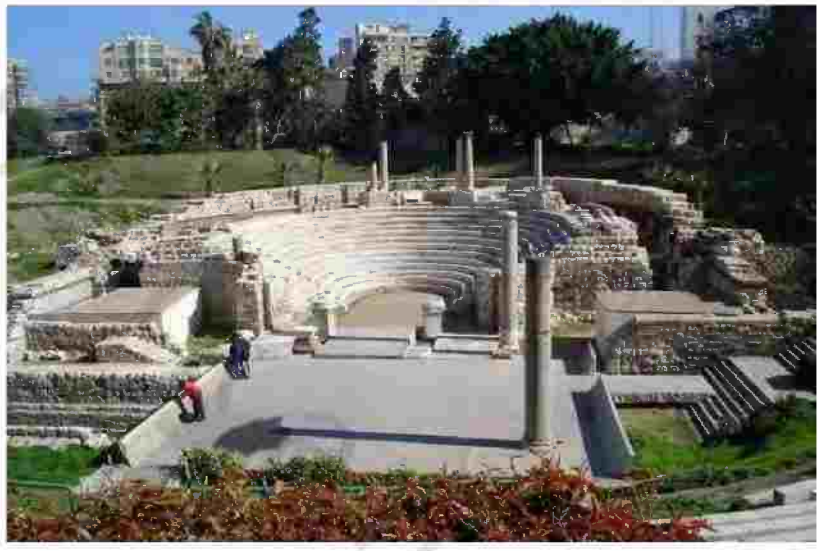

(مدرج كوم الدكة بالإسكندرية)

وهناك قطعة أخرى مستطيلة من الحجر عليها منظراً يعود أيضاً للقرن السادس الميلادى حيث يظهر عليها صياداً ممسكاً بحربة وقد تقدم نحو حيوان مفترس فى حين يقف الحيوان على قدميه الخلفيتين وإستعد للهجوم على الصياد الذى تمكن منه ووضع حربته فى صدر، .

وهناك قطعة من نسيج القباطى عليها منظراً لرياضة الصيد أيضاً ترجع إلى القرن السابع الميلادى من بين زخارفها رسم لصياد ممسكاً بحربة يطعن بها حيوان أمامه .

كما يوجد مشط من الخشب مكوناً من خمس قطع بيد وأسنان عليه رسوم تمثل حيوانات وطيور الصيد وزهور ويظهر فيه رسماً لأسد وصقر ويعود للقرن السابع الميلادى .

مناقرة الديوك :

كما توجد هناك رياضة لم تكن مألوفة ولم تعرفها قط ثقافة العرب وإنما أدخلها الغزاة الرومان وهى مناقرة الديوك حيث يحتفظ المتحف اليونانى الرومانى بقطعة من الفخار يظهر عليها مناقرة الديوك.

كذلك يحتفظ المتحف القبطى بقطعة خشبية تعود للقرن السابع الميلادى وهى عبارة عن مساحة مستطيلة من الخشب رسم عليها بالحفر البارز طائران وقد وثب كل منهما إلى الآخر فى حالة مناقرة .

كذلك عرفت مناقرة الديوك فى مصر بعد الفتح الإسلامى وصورت على طبق من الخزف ذى البريق المعدنى الفاطمى حيث يظهر رجلين جالسين نصف جلسة ويبدو أحدهما بلحية كثيفة وأمسك كل منهما ديكاً ووضعاه على الأرض وبدا على كل ديك علامات التحفز والإستعداد لمناقرة خصمه .

بالإضافة إلى ذلك صورت تلك الهواية فى المخطوطات وجوانب الأدب المختلفة وإن كان بعض شعراء المماليك قد تناولها بالتهكم والسخرية فيصورها إبن دانيال فى إحدى (باباته) تحت عنوان (المتيم والضائع اليتيم) .

وفيها يعرض صوراً من هذه الملاهى التى دارت بين المتيم والضائع اليتيم ويبدآن بمناقرة الديوك ، كل منهما قد أعد ديكه للصراع وقد ألبسه الحرير وزينه بألوان الحلى أعد المتيم ديكه (أبوالعرف صياح) وأعد اليتيم ديكه (صياح) ، ويبدأ اليتيم فى الإشادة بديكه قائلاً :

ديكـــى صـــياح مـــن الهنـــود حـــذار مـــن بأســـه الشـــديد

إن كـــان منقـــاره قصـــيراً فـــإن كفيـــه مـــن حديـــد

فإنمـــا عرفـــه عقيـــق يـــرى علـــى وردة الخـــدود

لـــه إذا هاجـــه نقـــار مـــن خصـــمه وثبـــة الأســـود

فيجيب اليتيم هوالآخر مشيداً بديكه قائلاً :

أهـــلاً وســـهلاً بطلعـــة الـــديك كأنـــه عـــروة الصـــعاليك

أتـــى بتـــاج كأنـــه ملـــك بـــين دجـــاج مثـــل المماليـــك

بطيلســـان مثـــل الحريرمـــع الـــبر علـــى منكـــبين محبـــوك

رأيتـــه إذيســـير مـــن يتيـــه كأنـــه الصـــلح إبـــن زيـــك

وتتمة لكلامنا نذكر وصف أبى نواس لديك الهند حيث يقول :

أنعت ديكاً من ديوك الهند أحسن من طاووس قصر المهدى

أشجع من عارى عرين الأسد ترى الدجاج حوله كالجند

يقعين منه خيفة للسفد له سقاع كدوى الرعد

منقار، كالمعول الممد يقهر ما ناقر، بالنقد

ونعود لبابة إبن دانيال حيث توضح هذه البابة طبيعة المناقرة بالديوك وكيف الظفر منها فيقول على لسان (زيهون) وهو أحد شخوص البابة : " وأحسن ما تفرج عليه السوقة والملوك ، مناقرة الديوك لأنها مناصلة ومناضلة ومقاومة ومنازلة ، وهذان الديكان قد وقفا للإصطدام وأصرا على الإقدام ، فمن هرب من النقار والتجأ إلى الفرار وجب عليه ما تقرر وليس بعار إذا عاد المغلوب وتكور " .

ولم تكن مناقرة الديوك قاصرة على مصر وحدها فيروى الجاحظ أن رجلان تقامرا بالديكة زمان عمر بن الخطاب فأمر عمر بالديكة أن تقتل فأتاه رجل من الأنصار فقال : أمرت بقتل أمة من الأمم تسبح الله ، فأمر بتركها .

وفى رسالة يحيى بن عبدالله العلوى إلى هارون الرشيد يقول له فى فصل منها : " تارة تغرى بين البهائم لمناطحة كبش أو مناقرة ديك أو مهارشة كلب "

سباق الحمام :

وفى رسالة (التوابع والزوابع) يقول إبن شهيد عن الأوز فى الأندلس :

" وأنا الذى إسترجعتها إلى الوطن المألوف وحببتها إلى كل غطريف فإتخذتها السادة بأرضنا وإستهلك عليها الظرفاء منا ورضيت بدلاً من العصافير ومتكلمات الزرازير ، ونسيت لذة الحمام ونقار الديوك ونطاح الكباش " .

ويفهم من عبارة إبن شهيد أن الأندلسيين كانوا يتخذون من نطاح الكباش ومناقرة الديوك وسباق الحمام كذلك تسلية لهم ، فقد عرف العرب هواية شبيهة بمناقرة الديوك وهى سباق الحمام ، تلك الهواية التى شغف بها الناس وشغلتهم على إختلاف طبقاتهم ورتبهم طوال العصر العباسى الثانى .

ولعل أشهر من شغف بها من خلفاء الدولة الخليفة المعتصم والخليفة المتوكل .

وكان يشهد هذا السباق من أهل العراق جمهور غفير ويكون السباق لبلوغ الغاية بين أصحاب الحمام المتسابق .

وكانوا يرسلون حمائمهم مع أشخاص أمناء إلى إحدى المدن التى تكون بداية السباق .

كما يعينون يوم إطلاقها وكانوا يعلقون بها ورقة مكتوب عليها إسم صاحبها ، وفى الوقت المعين لوصولها يخرج الناس إلى أسطح دورهم ينتظرون قدوم الحمام ثم حافظ الخلفاء الفاطميون على تلك الهواية فقد سابق الخليفة العزيز بالله حمامه مع حمام يعقوب بن كلس.

وفى العصر المملوكى حدث للملك المظفر قلاوون وكان مغرماً بسباق الحمام أن لقى حتفه بسبب تلك الهواية وتعلقه الشديد بها .

كما أثر عن السلطان المنصور أن كان يلعب بالحمام مع أولاد الغلمان .

والأمر نفسه مع السلطان الكامل شعبان ومن شدة ولعه بذلك لدرجة أنه قرب إليه من كان من أرباب اللعبة .

بل أمر أن ينادى فى القاهرة بألا يعارض أحد ألعاب الحمام أو غيرهم من أرباب الملاعيب .

وقد بلغ بأحد السلاطين أن بعث إلى المؤذنين يأمرهم : " إنهم إذا رأوا الحمام لا

يرفعون عقائرهم بالآذان حتى لا ينزعج الحمام " .

وقد باشر بعضهم اللعب بالحمام إلى حد الإسراف حتى بلغ ما أنفقه السلطان مظفر حاجى على عمل مقاصير الحمام سبعين ألف درهم .

وفى ذلك يقول الشاعر المملوكى الصلاح الصفدى متهكماً :

أيها العاقل اللبيب تفكر فى المليك المظفرالضرغام

قد تمادى فى البغى والبغى حتى كان لعب الحمام جد الحمام

فقد عد اللعب بالحمام من مساوئ هذا السلطان الذى صار له إجتماع بأراذل الطوائف ، وكان ذات مرة يلعب بالحمام فدخل عليه الأمير (جيبغا) رئيس حرسه فلامه على ذلك ، فقال : إذبحها ، فذبح منها طيرين ، فطار عقل السلطان ، وقال لخواصه : إذا دخل عليكم (جيبغا) فقطعوه بالسيف .

وفى تلك الواقعة يحكى إبن إياس أنه لما سمع السلطان كلام (جيبغا) غضب وقام من وقته وطلع إلى السطح وذبح الحمام الذى عنده من آخره ، كما خرب مقاصيره وأرسل إلى (جيبغا) مهدداً : " إنى قد ذبحت ما عندى من الحمام وإنى سأذبح خياركم من الأمراء كما ذبحت الحمام " .

نطاح الكباش :

وكان من هواياتهم الشاذة نطاح الكباش ، وممن إشتهر بحبه الشديد لمشاهدته (خاير بك) الذى كان يأمر بالنداء فى شوارع القاهرة يطلب أصحاب الكباش النطاحة للصعود إلى القلعة لتناطح كباشهم أمامه وكثيراً ما كان السلطان قنصوه الغورى بعد أن ينتهى من اللعب بالصولجان يطلع إلى (الحوش) ويجلس بالمقعد الذى به فيحضرون أمامه الثيران والكباش للمناطحة ، ويستمر ذلك إلى ما بعد العصر وأورد المقريزى أنه عثر لدى مقدم دولة المماليك البحرية سنة ١٣٤١ م على مائتى كبش للنطاح .

ولو عرجنا ثانية على (بابة) إبن دانيال لعرفنا أن مناطحة الكباش كانت تسير على نسق مناقرة الديوك فيقول المتيم بعد أن هزم ديكه فى تلك المواجهة: " ولئن هرب ديكى من صياح فدونك كبش للنطاح ، وكل لاعب يعرف كبش كأنه

الأسد الوحش ، يكاد ينطح البروج ويهدم بقرنيه سد يأجوج ومأجوج " .ثم تبدأ المناطحة فيشيد كل منهما بقوة كبشه وجمال منظر، ويشير إلى موطنه ، ومن الطريف أن تأتى أم اليتيم فتطلق البخور على كبش إبنها من الحسد قبل المواجهة .

ألعاب الأطفال فى مصر القبطية :

وكما خصص العرب فى العصور الفرعونية لعباً لأطفالهم كذلك فعل العربى القبطى فهناك مجموعة من ألعاب الأطفال على شكل حصان وفارس وطائر بعجلات صغيرة من الخشب تعود للفترة ما بين القرنين الخامس والسادس الميلاديين ومجموعة أخرى من الفخار على شكل عرائس تعود لبداية القرن السابع الميلادى وهى محفوظة بالمتحف القبطى .

الرماية عند العرب :

وما أكثر ما ولع العربى القديم بشتى أنواع الرياضات الأخرى من الرماية والصيد والمقارعة بالسيوف والمصارعة وإن تداخلت الهواية حيناً مع واقعهم العملى القائم على التنافس والصراع الدامى .

ونسوق تلك الحكاية لندلل على مدى إهتمام العربى بالرماية وجعلها أساساً فى واقع حياته ، فها هو مالك بن فهم وكان يسكن السراة ، وقد إتخذ من أولاده حرساً له ، حيث كان يحرسه فى كل ليلة واحداً منهم وكان يحب أصغر أولاده سليمة ويخصه بالعناية ويعلمه الرماية فغار منه إخوته وكادوا له عند أبيه وقالوا أن سليمة ينام أثناء حراسته لك فقام مالك بالتخفى للتأكد مما قاله أبناءه عن أخيهم ، فأحس سليمة بصوت فرسى بإتجاهه فأصابه بسهمه ، فلما تكلم عرفه سليمة ، فقال أنا سليمة فقال مالك ولأمك الويل أحسبك والله قد قتلتنى فأدن فإحملنى فحمله فقال مالك قبيل وفاته :

جزاه الله من ولد جزاء سليمة أنه سا ما جزانى

أعلمه الرماية كل يوم فلما إشتد ساعده رماني
فلا ظفرت يداه حين يرمي وشلت منه حاملة البناني
فإبكوا يا بني على حولاً ورثوني وجازوا من رماني

وقال سليمة فى ذلك ندماً على رمايته أبيه :

إني رميت بغير ثائرة بيت المكارم من بني عنم
ما كنت فيما قلت تعلم من قد أحاطت من ذو الفهم
ولقد رميت الركب اذا عرضوا بين التليل فروضة النجم
فرميت حاصيهم بلا علم أن إبن فهم مالكاً أرمي
فوددت لو نفع المنى أحداً أن هناك أصابني سهمي

وكانت العرب تسمى القوس (الذراع) لأن فى طوله ذراع ولذلك كانوا يتخذون منه وحدة قياس فيقيسون به المذروع ومن ذلك قوله تعالى : " فكان قاب قوسين أو أدنى " (النجم ، آية ٩) .

وكان على الرامى إذا أراد الرمى أن يمسك وسط القوس باليسرى ثم يثبت السهم فى وسط الوتر اليمنى ثم يجذبه إليه مساوياً مرفقه الأيمن بكتفه مسدداً نظره إلى الهدف فإذا بلغ الوتر نهايته تركه من أصابعه فإندفع إلى وضعه الأول دافعاً أمامه السهم نحو الهدف ، وكان الرامى يلبس فى إبهامه الأيمن قطعة من الجلد لئلا يؤذيه الوتر عند الرمى .

وفى الرماية يقول أحدهم :

فلقد أراني للرماح دريئة من عن يميني مرة وأمامي
حتى خضبت بما تحدر من دمي أكناف سرجي أوعناق لجامي

ويقول عمرو بن معدى كرب :

علام تقول الرمح يثقل عاتقي إذا أنا لم أطعن إذا الخيل كرت

وقال أحدهم :

ذكرتك والخطى يخطر بيننا وقد نهلت منها المثقفة السمر

وقال بعض بنى بولان من طيئ :

نحن حبسنا بني جديلة فى نار من الحرب حجمة الضرم

نستوقد النبل بالحضيض ونصطاد نفوساً بنت على الكرم

وقالوا :

الرمح لا أملأ كفى به وللبد لا أتبع تزواله

والدرع لا أبغى بها ثروة كل أمرئ مستودع ماله

وقالوا :

إن كنت لا أرمى وترمى كنانتى تصب جانحات النبل كشحى ومنكبى

وعنترة بن شداد يفخر بالرماح حين تغزل بعبل قائلاً :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وبيض الهند تقطر من دمى

فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

ثم أنه يتغزل بالرماح ذاتها :

أحن إلى ضرب السيوف القواضب وأصبوا إلى طعن الرماح اللواعب

وأشتاق كاسات المنون إذا صفت وثارت على رأسى سهام المصائب

وقال الملثم بن رياح :

تصيح الزينيات فينا وفيهم صياح بنات الماء أصبحن جوعاً

وقريب من هذا المعنى قول الشنفرى :

هتوف من الملس المتون تزينها رصائع قد نيطت إليها ومحمل

إذا زل عنها السهم حنت كأنها مرزأة عجلى ترن وتعول

فهو يسترسل فى وصف قوسه ومحاسنها فهى ذات صوت حين يطلق بها السهم وملساء لا خشونة فيها فتؤذى اليدين ومرصعة بما يزين بها.

ومثله أنشد الرقاشى فى صنعة القوس واصفاً إياه بالصلابة والنجادة فى النزل فيقول :

أنعت قوساً نعت ذى إنتقاء جاء بها جالب بروصاء

عند إعتيام منه وإنتصاء كافية الطول من إبن السيساء

فلم تزل مساحلة البراء تأخذ من طوائف اللحاء

حتى بدت كالحية الصفراء ترنوا إلى الطائر فى السماء

بـمقلة سريعـة الإقـذاء ليست بـكحلاء ولا زرقاء

وقالوا كذلك :

أرم عليها وهى فرع أجمع وهى ثلاث أذرع وأصبع

وهى قسى أهل البدو منهم أما أهل الحضر فيعقبون ظهورها ويكسون بطونها قرون المعز .

ولا تكاد هذه القسى ترى إلا فى أرض الحجاز وليست بها سيات ولا مقابض .

وللأعراب مفرداتهم الشائقة فى الرماية ، فيقولون (مرحى) عند إصابة الرامى ، و(تحاتن القوم) أى تساووا ، و(برحى) عند إخطاء الهدف .

الصيد عند العرب :

وكان للعرب غراماً شديداً بالصيد وليس أروع من تعبير الراجز عن عشق العرب لهذه الرياضة بقوله :

لا عيش إلا عيش طراد هى الصبوح والغبوق والقيل

وغارة بين النهار والليل لأم من عاديته منى الويل

وكان الصيد يعرف عند العرب باللذة :

كأنى لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

وقول الآخر :

لولا طراد الصيد لم يك لذة فتطارحى لى بالوصال قليلا

هذا الشراب أخو الحياة وماله من لذة حتى يصيب غليلا

وفى أهمية الصيد وأثره قال بعضهم :

إنما الصيد همة ونشاط يعقب الجسم صحة وصلاحاً

ورجاء ينال فيه سروراً حتى يلقى إصابة ونجاحاً

ومن إهتمام العرب برياضة الصيد وسباقاتها أن حفظوا أنسابها شأن حفظهم لأنسابهم وقد أفاض الجاحظ فى كتابه : (الحيوان) فى هذا الشأن وفيما جاء على ألسنة العرب القدامى من وصف وتصوير لأنواع الطير .

فضل رياضة الصيد :

وكانوا يمدحون الرجل بأكله من صيده ويعتبرون ذلك دليلاً على أنفته ومجالاً من مجالات الفخر ومنه قول إمرؤ القيس :

إذا ما ركبنا قال ولدان حينا تعالوا إلى أن يأتى الصيد نحطب

ولم ينقطع إمرؤ القيس ويظل فى كثير شعر، يفخر بالصيد وأكل لحمه مع عرقته فى الملك فيقول :

تظل طهاة اللحم من بين منضج صفيف شواء أو قدير معجل

وبعد سنين عديدة رق لأحد الشعراء العباسيين أن ينحو منحنى إمرؤ القيس فيقول :

قد وثق القوم له بما طلب فهم إذا جلى لصيد وإضطرب

سلوا سكاكينهم من القرب

وقول شاعر آخر:

نعمتى نعمة إكتساب ولكن أنت فى فضل نعمة الميراث

وطعامى صيدى وطعامك سؤر هل كطعم البزاة طعم البغاث

وفى فضل لحم الصيد على غير، يقول إمرؤ القيس أيضاً :

مطعم للصيد ليس له غير، كسب على كر،

وقال آخر :

تقول وقد ألممت بالأنس لمة مخضبة الأطراف خرس الجلاجل

أهذا خدين الجن والذئب والذى سهيم بربات الخدور البحادل

رأت خلف الدرسين أسود شاحباً على الهوى بساماً كريم الشمائل

إذا صاد صيداً لفه بضرامه وشيكاً ولم ينظر لغلى المراجل

تعلم من آبائه فتكاتهم وإطعامهم فى كل غراء شمائل

ونبقى مع إمرؤ القيس حيث يمدح بنو ثعل أحد فروع طيئ أبناء عمه وإدمانهم على الصيد فيقول :

رب رام من بنى ثعل مخرج كفيه من ستر،

فأتته الوحوش وارة فتمتى النزع من يسر،

فرماها فى فرائصها من إزاء الحوض أوعقر،

مطعم للصيد ليس له غيرها كسب على كبر،

وهذا الرامى عمرو الثعلى كان من أرمى الناس فى الصيد وفيه يقول إمرؤ القيس

ليس الغراب رمى حمامة قلبه عمرو بأسهمه التى لم تلغب

ويتحدث إمرؤ القيس عن رفيقه عند خروجه للصيد ومكان مكمنهما واصفاً هيأة وحالة كلب الصيد الذى يرافقهما :

وقد أغتدى ومعى القائضان وكل بمرباة مقتفر

فيدركنا فغم داجن سميع بصير نكر

وكان للعرب قصائدهم الشائقة فى الصيد والطرائد فغالبا ما يصورون المرأة ومفاتنها ومحاسنها بإستعارات مستوحاة من رقة الغزل ورشاقته ونظرته الناعسة فقال البعيث بن حريث :

معاذ الله أن تكون كظبية ولا دمية ولا عقيلة ربرب

ولكنها زدت على الحسن كله كمالاً ومن طيب على طيب

ويصف إمرؤ القيس الطرائد الوحشية مشدوهاً بجمال ألوانها مشبهاً إياها براهبات المعبد وهن يرتدين ثيابهن البيض والسود فيقول :

فعن لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوارٍ فى الملاء المذيل

فأدبرن كالجزع المفصل بنية بجيد معم فى العشيرة مخول

فألحقنا بالهاويات ودونه جواحرها فى صرة لم تزيل

وبعيداً عن تلك النزعة العاطفية ما أجمل تصوير أعرابى فى صيد ثعلب حيث

قال جاءوا بصيد عجب كل العجب أزيرق العينين طويل الذنب

تبرق عيناه إلى ضوء لهب

ويصف كعب بن زهير الصائد وهو يعد نباله متهيئاً لكى يأخذ المكان المناسب

عند إطلاقها فيقول :

تنحى بصفراء من نبعة على الكف تجمع أرزٍ ولينا

معداً على عجسها مرهفاً فتيق الغرارين حشراً سنينا

أما المخبل السعدى فيقول فى هذا الشأن :

والأزرق العجلى فى ناموسه بارى القداح وصانع الأوتار

كما يصف أوس بن حجر الصائد وهو يقوم بتهيئة أسهمه وشد أوتارها بعيداً عن أهله وقد ألف العيش مع الوحوش :

قضى مبيت الليل للصيد مطعم لأسهمه غار وبار وراصف

فيسر سهماً راشه بمناكب ظهار لؤم فهو أعجف شارف

وزهير بن سلمى يصور الطراد تصويراً رائعاً غير مسبوق فيقول :

فبينا نبغى الصيد جاء غلامنا يدب ويخفى شخصه ويضائله

فقال : شياه راتعات بقفرة بمتأمد القريان حو مسائله

ثلاث كأقواس السراء ومسحل قد أخضر من أس الغمير جحافله

وقد حرم الجحاش عند جحاشه فلم تبق إلا نفسه وحلائله

فقال أميرى : ما ترى رأى ما نرى أنخلته عن نفسه أم نصاوله

فبتنا عراة عند رأس جوادنا يزولنا عن نفسه ونزوله

ونضربه حتى إطمأن قذاله ولم يطمئن قلبه وخصائله

حتى يبلغ منتهاه فيقول :

وقلت له : سدد وأبصر طريقه وما هو فيه عن وصاتى وشاغله

وقلت : تعلم أن للصيد غرة وإلا تضيعها فإنك قاتله

ويصف علقمة الفحل التميمى الصيد وما يجود به من مفاجآت فيقول :

رأينا شياها يرتعين خميلة كمشى العذارى في الملاء المهدب

فبينا تمارين وعقد عذاره خرجن علينا كالجمان المثقب

فـإتـبــع أدبــار الشيــاه بــصــادق حثيث كغيث الرائح المتحلب

فرمى الفأر عن مسترغب القدر لائحا على جدد الصحاء من شد ملهب

كما نجد الشنفرى فى (لامية العرب) يتخذ من حيوان الصحراء أصدقاء له ويقارن بينها وبين البشر:

ولى دونكم أهلون سيد عملس وأرقط زهلول وعرفاء جيأل

هم الأهل لا مستودع السر ذائع لديهم ولا الجانى بما جر يخذل

فهو ينسب الذئب والنمر والضبع لنفسه إذ إتخذهم أصدقاء بدلاً من أهله الذين نبذوه وسلوكه هذا لابد أنه ينم عن خبرة بحيوان الصحراء وطيورها وعن تفاعله التام معها فقد جاءت صورة الذئب والقطا فى معرض تفاعله وحيوان الصحراء وطيورها وتمثيله للصراع القائم عن طريق جعلهما شريكين فى صراعه .

وكذلك إبراز شجاعته وقدرته الفائقة على التحدى والتغلب على الصعاب بإظهار نفسه أسرع من الذئب وأسرع من القطا ونلمس فى علاقته بالذئب من ناحية أخرى التكامل بين الطرفين فهما فى الهم سواء فقال :

وأغدو على القوت كما غدا أزل تهاداه التنائف أطحل

غدا طاوياً يعارض الريح هافياً يخوت بأذناب الشعاب ويعسل

فلما لواه القوت من حيث أمه دعا فأجابته نظائر نخل

بل وإتخذ من أدوات الصيد التى يحملها أصحاباً يرى فيهم الفائدة عن غيرهم من البشر الذين يسيئون إليه :

وأنى كفانى فقد من ليس جازياً بحسنى ولا فى قربه متعلل

ثلاثة أصحاب : فؤاد مشيع وأبيض أصليت وصفراء عيطل

ولم يك الشنفرى وحده المستأنس بحيوان الصحراء فمثله القائل :

عوى الذئب فإستأنست بالذئب لما عوى وصوت إنسان فكدت أطير

كما لم يك وحده من يرى هذا التكامل فصورة القطا تدلنا على مثل هذا التكامل إذ نجد شاعراً آخر يسقط مشاعره وأحاسيسه وحالته النفسية على هذا الطائر .

فهو عندما يطلب الماء يتبع القطا حيث تذهب إليه فيسبقها لسرعة عدوه

المشهورة عن الصعاليك فترة القطا بعده وتشرب سؤر، فجموع القطا تشعر بما يشعر به من العطش فيتسابقان إلى الماء وقد جسد هذا المعنى الجميل فى قصيدة طويلة مطلعها :

وتشرب أسارى القطا الكدر بعدما سرت قرباً أحناؤها تتصلصل

هذه المشاهد الحية للصيد والطراد إمتازت بها ثقافة العرب دون سواها ، فالثور الوحشى والحمار الوحشى والنعام والغزلان حيوانات تؤثر التعايش السلمى لها إحساسها بالفرح والحزن مثلها مثل بنى الإنسان .

فهذا لبيد بن ربيعة يذكر النعام الذى أفزعته رياح الشمال الباردة المصحوبة بالمطر ، فى حين باتت أمه ثكلى تحفر إلى جانب شجرة من شجر الصحراء قلقة محزونة لفقدها ولدها .

وكلما إطمأنت إلى الحفرة التى تحفرها تتهدم عليها بسبب الرياح والأمطار فتبيت ليلتها فى أسى وحزن وفى إنتظار للصراع المتوقع مع إنبلاجة الصباح :

تنجو نجاء ظليم الحو أفزعه ريح الشمال وشفان لها درر
باتت إلى دف أرطاة تحفر، فى نفسها من حبيب فاقد ذكر
إذا إطمأنت قليلاً بعدما حفرت لا تطمئن إلى أبطأتها الحفر
تبنى بيوتاً على قفر يهدمها جعد الثرى مصعب فى دفه زور
ليلتها كلها حتى إذا حسرت عنها النجوم وكاد الصبح ينسفر

ويمضى لبيد بن ربيعة على نسقه فيصور بقرة وحشية ضيعت ولدها وظلت تبغم وهى تبحث عنه فى الأرض القريبة منها سبعة أيام كاملة ، وهى لا تعلم أن كلاب الصيد تقاسمت أشلاؤه بعد أن أصابوا منها غفلة وتظل تبيت ليلها فى أسى على فقدانها ولدها وهى فى صراع دائم وقد جف لبنها بعد أن كان ممتلئاً لأنه لم ترضعه كل تلك المدة :

خنساء ضيعت الغرير فلم يرم عرض الشقائق طوفها وبغامها
لمعفر قهد تنازع شلوه غبس كواسب لا يمن طعامها
صادفن منها غرة فأصبنها إن المنايا لا تطيش سهامها
حتى إذا إنحسر الظلام وأسفرت بكرت تزل عن الثرى أزلامها

علهت تزند فى نهاء صعائد سبعاً تؤماً كاملاً أيامها
حتى إذا يئست وأسحق حالها لم يبله إرضاعها وفطامها

وفى هذه المرة يقترب لبيد بن ربيعة من مشهد الصيد فيجعل من النعامة مبكرة على عجل حين يسفر الصباح لتبدأ معركتها مع الصياد تصحبه كلابه المدربة على الصيد ، فتولى النعامة بادئ الأمر هاربة ، ثم حين لاتجد بداً من الدفاع والقتال تعود لتقاتل وتقاوم الصياد وكلاب صيده :

غدت على عجل والنفس خائفة وغاية من غدو الخائف البكر
لاقت أخا قنص يسعى بأكلبه شثن البنان لديه أكلب جسر
ولت فأدركها أولى سوابقها فأقبلت ما بها من الروع يعتكر

ويعاود لبيد بن ربيعة أيضاً رسم تصوير مشهد لصراع بين ثور وحشى والصياد وكلابه المدربة إذ تنشأ فى الصباح الباكر معركة حامية الوطيس يثبت فيها الثور شجاعته ومهارته فى الدفاع عن نفسه بعد أن سيق لمعركة لم يختر زمانها أو مكانها :

فباكر، مع الإشراق غضف ضواريها تخب مع الرجال
فجال ولم يجل جنباً ولكن تعرض ذى الحفيظة للقتال

ثم كان من نتائج تلك المعركة مقتل كلب صيد طعنه الثور بقرنيه طعنات نافذة تشبه مقاتلة فارس متمرس على الذود بسيفه فى كل إتجاه :

فغادر ملحماً وعدلن عنه وقد خضب الفرائص من طحال
يشك صفاحها بالروق شزراً كما خرج السراد من النعال

وينسحب الثور منتصراً دون أن يمكن منه الصياد أو كلاب الصيد وهو يمر أمامهم فى زهو وجلال إلى الجهة التى يريدها متوقلاً فى رمال بها أشجار تخفيه أحياناً وتظهر أحياناً أخرى مثل السيف الذى يروح ويجيئ بيد الصقال :

وولى تحسر الغمرات عنه كما مر المراهن ذو الجلال
وولى عامداً لطيات فلج يراوح بين صون وإبتذال
تشق خمائل الدهنا يداه كما لعب المقامر بالفيل
وأصبح يقترى الحمان فرداً كنصل السيف حودث بالصقال

لكن صياد النابغة الذبيانى أجرأ قلباً وكلاب سيده أقدر على الصيد فيقول:

مطر أفزعت عنه حلائله من وحش وجرة أو من وحش ذى قار
وبات ضيفاً لأرطأة وألجأه مع الظلام إليها وابل سار
حتى إذا ما إنجلت ظلماء ليلته وأسفر الصبح عنه أى إسفار
أهوى له قانص يسعى بأكلبه عارى الأشاجع من قناص أغار
محالف الصيد تباع له لحم ما إن عليه ثياب غير أطمار
يسعى بغضف براها وهى طاوية طول إرتحال لها منه وتسيار

وفى مشهد بديع يصور أوس بن حجر صراعاً بين حمار الوحش والصياد الذى ظل يرقب قدوم فريسة زمناً بعيداً يعد سهامه ويهيئ مكامنه ويروض النفس على تحمل مشاق الجوع والعطش وقسوة حرارة الصحراء اللاهبة فيختار لفريسته الوقت المناسب ليرميها بسهامه إذ يمهلها وهى ترد غدير الماء حتى تطمئن .

ويطلق سهامه وهو على يقين أنه سيصيب منها أطراف أضلاعها .

إلا أن سهمه يطيش فيعض على إبهام يمينه ندماً بعد طول ترقب ومعاناة .

أما طريدته فحين أحست بذلك أطلقت لساقيها العنان بدون إبطاء أو تأخير :

فأمهله حتى إذا أن كأنه معاطى يد من جمه الماء غارف
فأرسله مستيقن الظن أنه مخالط ما بين الشراسيف جائف
فمر النضى للذراع ونحره وللحين أحياناً عن النفس صارف
فعض بإبهام اليمين ندامة ولهف سراً أمه وهو لاهف
وجال ولم يعكر وشيح ألفه بمنقطع الغضراء وشد مؤلف
فما زل البقرى يفرى الشد حتى كأنما قوائمه فى جانبيه الزعانف

وفى مشهد كعب بن زهير صورة لصياد يترصد بحمار الوحش وأتانه وهما يرتادان الماء متوجسين ليرسل إليهما بسهامه :

فجئن فأوجسن من خشية ولم يعترفن لنفر يقينا
وتلقى الأكارع فى بارد شهى مذاقته تحتسينا
يبادرن جرعاً يواترنه كقرع القليب حصى القاذفينا

فأمسك ينظر حتى إذا دنون من الرى أو قد روينا
فأرسل سهماً على فقرة وهن شوارع ما يتقينا
فمر على نحر، والذراع ولم يك ذاك الفعل دينا

أما عمل الصياد هذه المرة فى مشهد النمر بن تولب فسهل للغاية فلم تكن الفريسة كسابقاتها وإنما هى حديثة عهد بالحياة ولدتها أمها فى جبل ذى طرائق مختلفة فأضلت سبيلها إليها فكانت صيداً سهلاً :

أتاح لها الدهر: فضة يقلب فى كفه أسهما
فراقبه وهو فى فترة وما كان يرهب أن يكلما
فأرسل سهاماً له أهزيماً فشك نواهقه والفما
فظل يسب كأن الولوع كان بصمته مغرما
أتى حصنه ما أتى تبعاً وأبرهة الملك أعظما

وبعيداً عن صور الصراع القائم بين الصيادين وطرائدهم من حيوان الصحراء نستمع إلى هذا الذى يفاخر ببراعته فى فنون الصيد والطرادة :

وكل أبى باسل غير أننى إذا عرضت أولى الطرائد أبسل

وقال آخر :

كأن الليث لا شم مرغماً ولا نال قط الصيد حتى تعفرا

وقالوا :

مشينا مشية الليث غدا والليث غضبان
بضرب فيه توهين وتخضيع وإقران
وطعن كفم الزق غذ والزق ملآن

وقالوا ايضاً :

وفتيان غدوا والليل داج وضوء الصبح متهم الورد
كأن برأسهم أمراء جيش على أكتافهم صدأ الحديد

وعلى شاكلتهم قول آخر :

غدت للصيد بغضف كالقدد والليل قد رق على وجه البلد
وإبتل سربال النسيم وبرد والفجر فى ليل الظلام يتقد

وفى صيد الطير يقول لبيدة بن ربيعة فى الباز :

لقنت لنا بوازى صائدات وطيرك فى مكامنا لبود

كذلك :

قد أغتدى مثل الظلام بفتية للرمى قد حسروا له عن أذرع

متنكبين خرائطاً لبنادق من بين مضفور وبين مرسع

أكفهم قضبان بروس قد عدوا للطير قبل نهوضها للمرتع

تقذى منيات الطيور عيونها يوماً إذا رقدت بأيدى النزع

صفر البطون كأن ليط متونها سرق الحرير نواضر لم تشبع

ويواصل إمرؤ القيس واصفاً صيد العقبان للذئب فيقول :

كأنها حين فاض الماء وإختلقت صقعاء لاح لها بالصراحة الذيب

فأقبلت نحوه فى الجو كاسرة يحتثها من هواء الجو تصويب

صبت عليه ولم تنصب من أمم إن الشفاء على الأشقين مصبوب

إذ خانها وفر منها وتكريب

وتنتهى الحكاية نهاية دراماتيكية :

فأدركته فنالته مخالبها فإنسل من تحتها والدف منقوب

لامثلها فى دواب الجو طالبة ولا كهذا الذى فى الارض مطلوب

يلوذ بالصخر بعدما فترت منها ومنه على العقب الشآبيب

ثم إستعان بدحل وهى تحفر، وباللسان وبالشدقين تتريب

فظل منجحراً منها يراصدها ويرقب الليل إن العيش محبوب

أما الهذلى فيصف صيد العقبان لبعض الطرائد :

ولله فتحاء الجناحين لقوة توسد فرخيها لحوم الأرانب

كأن قلوب الطير فى جوف وكرها نوى القسيب يلقى عند بعض المآدب

فخاتت غزلاً جاثماً بصرت به لدى سمرات عند إدماء سارب
فمرت على ريد فأعنت بعضها فخرت على الرجلين أخيب خائب

وفى باقى أنواع الصيد الأخرى يصف إمرؤ القيس فى معلقته خروجه مبكراً للصيد بفرسه :

وقد إغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكلاً

وفى مشهد آخر يتوقف إمرؤ القيس عند وصف الصياد وهو ملتصق بالأرض ليخفى نفسه حتى لا ينفر منه الصيد ويمسح ببطنه الأرض وهو يزحف فيقول :

بعثنا ربيئاً قبل ذلك مخملاً كذئب الغضا يمشى الضراء ويتقى
فظل كمثل الخشف يرفع رأسه وسائره مثل التراب المدقق
وجاء حفياً يسفن الأرض بطنه ترى الترب منه لاصقاً كل ملصق

وأكمل صورة للصراع فى دنيا الحيوان والصيادين من بنى البشر ما صورته قصيدة أبى ذؤيب الهذلى فى رثاء أبناءه ، حيث نطالع وصفاً بارعاً بين الثور الوحشى وكلاب الصيد ثم تدخل الصياد ، فيقول :

والدهر لا يبقى على حدثانه شبب أفزنه الكلاب مروع
شعف الكلاب الضاريات فؤده فإذا رأى الصبح المصدق يفزع
ويعوذ بالأرطى إذا ما شفه قطر وراحته بليل زعزع
يرمى بعينيه الغيوب وطرفه مغض يصدق طرفه ما يسمع
وغدا يشرق متنه فبدا له أولى سوابقها قريباً توزع
فاهتاج من فزع وسد فروجه غبر ضوار وأفيان وأجدع
ينهشنه ويذبهن ويحتمى عبل الشوى بالطرتين مولع
فنحالها بمذلقتين كأنما بهما من النضج المجدع أيدع
فكأن سفودين لما يقترا عجلاً له بشواء شرب لا ينزع
فصرعنه تحت الغبار وجنبه متترب ولكل جنب مصرع
حتى إذا إرتدت وأقصد عصبة منها وقام شريدها يتضوع
فبدا له رب الكلب بكفه بيض رهاب ريشهن مقزع
فرمى لينفذ فرها فهوى له سهم فأنفذ طرتيه المنزع

فكبا كما يكبو فنيق بالخبت إلا أنه هو أبرع

وفى صيد الكلاب يقول لبيد فى وصف كلب صيد وهو مدرب تدريباً جيداً يعدو مع الصياد فى حالة تأهب فباشرة مع الإشراق غضفضواريها تخب مع الرجال .

وأوس بن حجر يصف كلبه القوى يسير بتؤدة وأحناكه كأنها المناشير فيقول :

يسعى بغضنى كأمثال الحصى زميعاً كأن أحناكها السفلى المأشير

أصل الصيد بالصقور :

وكانت الصقور من الأدوات التى ساعدت الصائد العربى فى هوايته ويذكر الدميرى صاحب كتاب (حياة الحيوان الكبرى) أن أول من صاد بالصقر هو (الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة) .

فقد وقف الحارث ذات يوم عند صياد ينصب شباكه لصيد العصافير فشاهد أحد الصقور ينقض على عصفور تعلق

بالشباك وهنا أمر الحارث أن يأتوا له بالصقر فأخذه ووضعه فى بيته وخصص له من يطعمه ويدربه على الصيد .

وفى رواية أخرى أن أول من صاد بالصقر المنذر بن النعمان ملك الحيرة ، فقيل له : " وما الذى رأيت أيها الملك فى هذا الطائر "فقال : " جميع ما ترون فى هذه الأرض من ذوات المخالب عايلة على هذا الطائر ، وذلك أنه كلما صاد شيئاً نزل إليه بعض هذه الطيور تركه ومضى إلى آخر يصيده ، فإذا صاده نزنه إليه آخر فسلمه إليه فكان ذلك دأبه يومه " .

كما نذكر أن حمزة بن عبدالمطلب أشهر إسلامه إثر عودته من رحلة صيد وهو يحمل صقراً على يسراه .

آداب الصيد عند العرب :

ولم يمارس العرب رياضة الصيد إعتباطاً بل كانت لهم آداب يتأدبون بها وتقاليد يرعونها ، ومن أقدم هذه الآداب الكف عن صيد الحيوانات التى تلجأ إليهم بسبب

شدة الجوع أو شدة العطش أو قسوة البرد فكأنها عادت بهم وليس من مروءة العرب أن ينالوا عائداً بسوء .

يقال أن رجلاً من بنى عبدالله بن كلاب قد بات بأرض خلاء ليس معه أحد فأوقد ناراً وكان قد صاد صيداً فلما رأى الذئب النار أتاها فلما قرب منه وهو جائع أخذ يأكل ما يرميه الرجل من العظام وهو لا يراه فلما تبينه رمى إليه بقية صيده ولم يرعه وأنشأ قائلاً :

يا رب ذئب باسل مقدام　　منجرد فى الليل والإظلام
عاود أكل الشاء والأنعام　　قد ضافنى فى الليل ذى التمام
فى ليلة دانية الأرزام　　يقرش ما ألقى من العظام
فبات فى أمنى وفى زمامى　　مستدفئاً من لهب الضرام
آثرته بالقسم من طعامى　　ولا يخف نبلى ولا سهامى
ولو أتى غيرى من الأقوام　　من اللئام لا من الكرام
إذن للاقى عاجل الحمام

ومن آداب الصيد عند العرب ايضاً أن يكون السبيل للطرد والمنازلة والظفر بعد بذل الجهد لذا يعاف عند المتأدبين منهم بآداب الصيد فعل من عجز عن رمى الطير بسهامه وقصرت حيلته عن إصطيادها بشبكة فألقى فى ملاقطها ومراعيها سموماً مخدرة حتى إذا تناولتها جرت فيه مجرى الدم وقطعتها عن الحراك وطال بذلك تعذيبها فيضطرب الطير الإضطراب الشديد وينقلب الحيوان فتندق قوائمه وتترضض عظامه فيكون قد قتل بذلك قتلاً .

ومثله الذى يسد على الحيوان مذاهبه إلى موارد الماء فيجهده بالعطش حتى تتخاذل أعضاؤه وتوهن قواه فيسقط على الأرض من شدة الإعياء ثم تؤخذ على هذه الحال .

ومن آداب الصيد التى إلتزمها العرب إنتهاز وقت الغلس فى إلتماس الطرائد لأنها تكون قد هدأت وربضت للنوم فتستثار وفى عيونها سنة الكرى فلا تقوى على المقاومة .

ومن آداب الصيد أن تختار له الأيام الغائمة التى لا مطر فيها وذلك أن الطرائد

أشغل من أن تكون فى هذا اليوم بطلب المرعى والمداومة عليه وفى إشتغال الطريدة فرصة للصياد .

ومن آداب الصيد الأخرى أن يتناول الصائد قبل ركوبه إلى الصيد ما يصلح له من طعام خفيف وشراب مباح وألا يملأ معدته ليكون أخف حركة وأقدر على الصيد وأنشط له .

ومن آداب صيد طير الماء أن يستصحب البيازرة معهم الطبول حتى إذا ما وقعوا على أسراب الطير أحاطوا به من كل جانب وتقدم حملة البزاة وتأخر عنهم حملة الشواهين ثم تدق الطبول لإثارة الطيور فإذا هبت للطيران أرسلت عليها البزاة فتصيد منها ما تصيد وتخطئ منها ما تخطئ وعند ذلك يتقدم حملة الشواهين ويطلقونها على ما أخطأت البزاة فتلحق به وتصيده لأن الشواهين أسرع طيراناً وأبعد مدى .

الإسلام يقر آداب الصيد :

هى إذن آداب وتقاليد تشهد على ما تمتعت به ثقافة العرب الرياضية من روعة وإبداع حتى إذا أتى الإسلام أقرها وواظب عليها ليقول النبى (ص) : " إن الله كتب على نفسه الإحسان فى كل شيئ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته " ومنه قوله تعالى : " يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا إسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب " فصار ذلك تشريعاً كاملاً للصيد وأحكامه .

المبارزة عند العرب :

أما المقارعة بالسيوف فكانت تعرف عندهم باسم (الثقاف) وهى أصل سيف المبارزة بصورته الحالية وكانت العرب تقول السيف ظل الموت ولعاب المنية وكانت تكنيه أبا الوجل .

أشكال السيوف :

وللسيف عندهم أشكال عدة فمنها الطويل المستقيم ، وهو ذو حدين ، ومنها المقوس وهو ذو حد واحد وقيل أن العرب كانت تطعن به كالرمح وتضرب به كالعمود وتقطع به كالسكين وتجعله سوطاً ومقرعة وتتخذه جمالاً فى الملأ وسراجاً فى الظلمة وأنساً فى الوحدة وجليساً فى الخلاء ومضجعاً للنائم ورفيقاً للسائر ، وتسميه عطافاً ووشاحاً وعصاً ورداءً وثوباً وخشيباً ونلوقاً وصارماً ومرهفاً ومهنداً .. إلخ .

أمثلة العرب فى السيف :

ومن أمثالهم قولهم : " سبق السيف العذل " ، وقولهم : " محى السيف ما قال إبن دارة أجمعا " .

وقال بعضهم : " السيف هو الصاحب الولى والصديق الوفى والرسول الوحى "، وقالوا:" إذا إلتقى السيف السيف زل الخيار " . وقال الأحنف بن قيس :

" لا تزل العرب عرباً ما لبست العمائم وتقلدت السيوف ولم تعد الحلم ذلاً " .

أحب السيوف عند العرب :

ويوماً سأل أعرابياً إبنيه عن أى السيوف أحب إليهما ؟

فقال أحدهما : " الصقيل الحسام ، الباتر المخذام ، الماضى السطام ، المرهف الصمصام ، الذى إذا هززته لم يكب ، وإذا ضربت به لم ينب " .

وقال للآخر فما تقول أنت ؟

فقال : " نعم السيف نعت وغير أحب إلى منه " .

قال : وما هو ؟

قال : " الحسام القاطع ، والرونق اللامع ، الظمآن الجائع ، الذى إذا هززته هتك وإذا ضربت به فتك " .

فقال لهما : أخبرانى عن أبغض السيوف إليكما ؟

فقال أحدهما : " الفطار الكهام ، النابى عن اللحم والعظام ، الذى إذا ضرب به لم يقطع وإذا ذبح به لم ينجع " .

فقال للآخر : فما تقول أنت ؟

قال : " بئس السيف نعت وغير، أبغض إلى منه " .

قال : وما هو ؟

قال : " الطبه الددان ، المعضد المهان ، الذى إن ضرب لم يسل الدم وإن أنت أكرهته " .

وفى المقارعة بالسيوف نقرأ من شعر السموأل بن عادياء :

وأسيافنا فى كل غرب ومشرق بها من قراع الدارعين فلول

معودة ألا تسل نصابها فتغمد حتى يستباح قبيل

وغادرن نضلة فى معرك يجرالأسنة كالمحتطب

كما نقرأ من شعر عنترة :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وكذلك :

ومدجج كره الكماة نزاله لا ممعن هرباً ولا مستسلم

جادت يداى له بعجل طعنة بمثب صدقاً الكعوب مقوم

فشككت بالرمح الاصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

أما الوليد بن عبيد البحترى فيصف سيفاً ويقول :

ماض وإن لم تمضه يد فارس بطل ومصقول وإن لم يصقل

متوقد يغرى بأول ضربة ما أدركت ولو أنها فى يذبل

وعنترة دائماً شاكى السلاح مدجج فيقول :

وكتيبة لبستها بكتيبة شهباء باسلة يخاف رداها

خرساء ظاهرة الأداة كأنها نار يشب وقودها بلظاها

فيها الكماة بنو الكماة كأنهم والخيل تعثر فى الوغى بقناها

شهب بأيدى القابسين إذا بدت بأكفهم بهر الظلام سناها

ويصف الشنفرى سيفه فيقول :

إذا فزعوا بأبيض صارم ورامت بما فى جفرها ثم سلت

حسام كلون الملح صاف حديده جرازكأقطاع الغدير المنعت

تراها كأذناب الحسيل صوادرا وقد نهلت من الدماء وعلت

قتلنا قتيلاً مهدباً بملبد جمار منى وسط الحجيج المصوت

وكذا يصف المزرد أخو الشماخ سيفه ورمحه فيقول :

حسام خفى الجرس عند إستلاله صفيحته مما تنفى الصياقل

ومطرد لدن الكعوب كأنما تغشاه منباع من الزيت سائل

أصم إذا ما هز مارت سراته كما مار ثعبان الرمال الموائل

له فارط ماضى الغرار كأنه هلال بدا فى ظلمة الليل ناحل

المصارعة عند العرب :

أما المصارعة عند العرب القدامى فهى أنواع منها : الشغزبية كما ذكرنا آنفاً وهى لى رجل الخصم بالرجل فى محاولة لقهر، وطرحه فتكون حينئذ شغزبته أى شقلبته شقلبة .

ومن حركاتها (الظهارية) وهى أن يصرع إنسان إنساناً آخر بالظهر ومنها أيضاً (الهضة) وهى العلو على المغلوب ومغالبته حتى يقهر ويستسلم ولعل أهم شخصيتان أسطوريتان مارستا المصارعة البطل عنترة بن شداد والشخصية الأسطورية عوج بن عناق .

الأسواق الأدبية مسرحاً للألعاب الرياضية :

ولن نفوت هذه الإطلالة دون أن نأتى على ذكر أسواق العرب الأدبية التى لم تكن حكراً على الآداب والفنون والتجارة وإنما كان للرياضة والألعاب الرياضية فيها نصيباً وافراً .

فسوق عكاظ كان نشاطه الرئيسى هو سباق العدو بالإضافة إلى المصارعة وسباق الإبل والمقارعة بالسيوف.. إلخ .

على أن التجمع الرياضى لم يكن قاصراً على الأسواق فكان الناس فى يثرب يحيون مهرجاناً رياضياً فى بداية فصل الربيع من كل عام يستمر لمدة يومين وكانت تميز، أن معظم رياضاته مأخوذة عن رياضات فارسية فالمهرجان كان تقليداً لممارسات الفرس فى عيدهم النوروز .

الصعاليك أول فريق رياضى عربى :

وربما كانت أهم ظاهرة رياضية فى تلك الآونة من حياة العرب قبل الإسلام ظاهرة الصعاليك هؤلاء الفرسان الفقراء الذين حددوا لانفسهم حياة مميزة ووضعوا لمجموعتهم تقاليد خاصة تنم عنهم وتميزهم عن غيرهم .

من تلك التقاليد مواجهة الكوارث والخصومات والعدوان بصورة جماعية لا فردية فيها وكان معظمهم أقوياء الجسم ويمتازون بالعدو ولذلك يمكن أن تقول عنهم أنهم أول فريق رياضى عربى وصلتنا أخبار، وليسوا كما يظن البعض كانوا قطاعاً للطرق وقد رسم تأبط شراً وهو شاعر من فرسان الصعاليك صورة الفارس الصعلوك فقال :

قليل التشكى للمهم يصيبه كثير الهوى شتى النوى والمسالك
يظل بموماة ويمسى بغيرها جحيشاً ويعرورى ظهورالمهالك
ويسبق وفد الريح من حيث ينتحى بمنخرق من شدة المتدارك

وقد كان الشنفرى أحد شعرائهم رامياً لا تخطئ رميته قط كما إعتمد الصعاليك فى الأساس على أقدامهم وجعلوا العدو السريع أساساً لخططهم القتالية .

وقد عرفوا بسرعة العدو بل عرفوا بسرعة العدو الخارقة للعادة ومن أجل ذلك كانوا يطلقون عليهم (العداء ين) أو (الرجليين) أو (الرجيلاء) .

وضربوا المثل فى طائفة منهم فى سرعة العدو فقالوا (أعدى من الشنفرى) و(أعدى من السليك) .

ووصفوهم بأنهم أشد الناس عدواً وعرف عن طائفة منهم أنهم كانوا يسبقون الخيل والظباء وهى أسرع حيوان الصحراء عدواً .

ويضرب الشنفرى مثلاً بسرعته الفائقة فى العدو بسباقه القطا فى بلوغ حفرة بها ماء متخلف عن الأمطار فقال :

وتشرب أسارى القطا الكدر بعدما	سرت قربا أحناؤها تتصلصل
همت وهممت وإبتدرنا وأسدلت	وشمر منى فارط متمهل
فوليت عنها وهى تكبوا لعقره	يباشره منها ذقون وحوصل

ويروون عن الصعلوك حاجز الأزدى أن قبيلة خرجت تطارده بخيلها السريعة ففر أمامها على قدميه وسبق الخيل فأعترض طريقه الضيق فى أحد شعاب الجبل ظبيان منعاه من تجاوزهما ولكن الطريق لم يعد يتسع به وبهما حتى إنطلق فسبقهما وخلفهما وراءه يعدوان .

وقيل أنهم زرعوا خطى الشنفرى مرة فوجدوا أول نزوة (خطوة) من نزواته إحدى وعشرين خطوة (ثمانية أمتار ونصف) والثانية سبع عشرة خطوة والثالثة خمس عشرة خطوة .

وذات يوم خرج الصعلوك عروة بن الورد مع أتباعه فوجدوا فى الطريق أثاراً فقال لهم : " هذه أثار من يرد الماء فأكمنوا " .

فجاءت الإبل بعد خمس فورت منها مائة معها فصلانها ومعها فارساً بسلاحه فخرج عليه عروة وضربه بسهمه فأرداه وإستاق الإبل حتى أتى قومه فأحياهم وفى ذلك يقول :

أليس ورائى أن أدب على العصى	فيأتى من أعدائى ويسأمنى أهلى
أقيموا بنى لبنى صدور ركابكم	فإن منايا القوم شر من الهزل
لعل إنطلاقى فى البلاد ورحلتى	وشدى حيازيم المطية بالرحل
سيدفعنى يوماً الى رب هجمة	يدافع عنها بالعكوف وبالبخل

ووصف أبو خراش الهذلى سرعة إبنه التى أعجزت مطارديه فقال :

كأنهم يشبشون بطائر خفيف　　المشاش عظمة غير ذى نحض

ولعل قبيلته كلها كانت تشتهر بالسعة الفائقة فى العدو ، فلا يسبقهم سابق حتى أصبحت صفة العدو الذى لايبارى صفة موروثة بين أبناء قبيلة الهذلى فقال مفاخراً :

كأنى إذا عدوا ضمنت بزى　　من العقبان خائنة طلوبا

ثم فى موضع آخر يقول :

لما رأيت بنى نفاثة أقبلوا　　يشلون كل مقلص خناب

فنشيت ريح الموت من تلقائهم　　وكرهت كل مهند قضاب

ورفعت ساقا لا يخاف عثارها　　وطرحت عنى بالعراء ثيابى

أقبلت لا يشتد شدى واحد　　علج أقب مسير الأقراب

ومن الطبيعى أن يعتز الهذيلى بساقيه إذ هما سلاحه ودرعه الواقى ، فيقول :

فإن تزعمى أنى جبنت فإننى　　أفر وأرمى مرة كل ذلك

أقاتل حتى لا أرى لى مقاتلا　　وأنجو إذا ماخفت بعض المهالك

وتروى الخنساء سباقاً حامى الوطيس فى العدو جرى بين أبيها وأخيها صخراً فتقول :

جارى أباه فأقبلا وهما　　يتعاوران ملاءة الفخر

حتى إذ نزت القلوب وقد　　لزت هناك العذر بالعذر

وعلا هتاف الناس أيهما　　قال المجيب هناك لا أدرى

برزت صحيفة وجه والده　　رمض على غلوائه يجرى

أولى فأولى أن يساويه　　لولا جلال السن والكبر

وهما كأنهما وقد برزا　　صقران قد حطا على وكر

الشطرنج عند العرب :

أما عن رياضة الشطرنج وهى قديمة فى العرب كما أشرنا فى أكثر من موضع ولم تكن دخيلة على تلك العصور من حياة الإنسان العربى فلدينا أبيات مما نظم إمرؤ القيس يقول فيها :

ولاعبتها الشطرنج خيلى ترادفت عليها دار الشاه بالعجل
فقالت ما هذا شطارة لاعب ولكن قتل الشاه بالفيل فهو الأجل
فناصبتها المنصوب بالفيل عاجلا من إثنين فى تسع بسرع فلم أمل
وقد كان لعبى كل دست بقبله أقبل ثغراً كالهلال إذا أطل

الرياضة فى المسيحية :

وتراث العرب الدينى يحفل بإشارات عدة تدعو لممارسة الرياضة ممارسة صحيحة ترتفع بحياة الإنسان روحياً ونفسياً وجسدياً يتضح ذلك جلياً فى تعاليم الكتاب المقدس .

فالمسيح نفسه قام بتعليم تلاميذه الإعتناء باجسامهم ، فكم من مرة أخذهم إلى موضع خلاء ليستريحوا ويتناولوا طعامهم بعيداً عن الجموع التى كانت تزحمهم .

وكان يناديهم : " تعالوا أنتم إلى موضع خلاء وإستريحوا قليلاً لأن القادمين والذاهبين كانوا كثيرين ، ولم يتيسر لهم فرصة للأكل فمضوا فى السفينة إلى موضع خلاء منفردين " .

وحيث إستقى المسيح دروسه من المجتمع الإنسانى المحيط به من جهة ومن سوسن الحقول وطيور الهواء وسحب السماء من جهة أخرى .

كما يفهم ذلك من قصة الإبن المبذر والطبيب السامرى أو المرأة التى أضاعت قطعة نقودها .

لقد دعت المسيحية إلى الإهتمام بالرياضة لأن الله خلق الإنسان على صورته : " وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ، فخلق الله الإنسان على صورته ،

على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم ".

ثم لأن الجسد الإنسانى هو هيكل الله وفى ذلك يقول بولس الرسول : " أم لستم تعلمون أن جسدهم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم ، الذى لكم من الله ، وأنكم لستم بأنفسكم ، فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى الله" ، ويقول: " أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم " .

هذا الجسد الإنسانى الذى هو هيكل الله يجب أن يكون سليماً وصحيحاً .

وكان المسيح يطوف المدن والقرى ويعلم فى مجامعهم مشياً ، فذات يوم مشى وتلاميذه ست ساعات سيراً على الأقدام .

فلم يستخدموا أية وسيلة إنتقالات من تلك التى كانت معروفة آنذاك كالحمار والحصان اللهم إلا مرة واحدة فقط إستخدم المسيح فيها حماراً عندما دخل أورشليم .

كما دعا المسيح وهو الطبيب البارع تلاميذه إلى ممارسة الصيد وكان أربعة من حواريه يشتغلون بصيد السمك .

ولم تكن معاداة المسيحية لاحقاً للنشاط البدنى إلا إحتجاجاً على ممارسات الرومان الهمجية فى رياضاتهم كما أشرنا آنفاً.

ويبدو أن ألعاباً عديدة كانت تستهوى النصارى أيام بولس الرسول وبعده .

وفى المزمير : " تجعل ظلمة فيكون ليل فيه يد كل حيوان الوعر " .

وقد نظمها بعض النصارى فقال :

تجعل ظلمة فذاك الليل أسدلا

الحيوان عند ذا يدب فى الفلا

و" الأشبال تزمجر لتخطف ولتلمس من الله طعامها " .

تزمجر الأشبال كى تخطف ما تراه

كذا لكى تلتمس الطعام من الله

و " تشرق الشمس فتجتمع وفى مآويها تربض " .

إذ تشرق الشمس تراها إجتمعت للحين

ثم إنزوت ربضة فى وسط العرين

و" هذا البحر الكبير الواسع الأطراف هناك دبابات بلا عدد صغار حيوان مع كبار هناك تجرى السفن لوياثان هذا خلقته ليلعب فيه " .

فالأرض ممتلئة من خيرك الغزير
وبحرها المتسع الأطراف والكبير
ليس لدباباته عد ولا إنحصار
فالحيوانات به الكباروالصغار
هناك تجرى سفن تأتى وتذهب
لوياثان فيه قد خلقت يلعب

ونجد فى بعض الرسائل أن المؤمن يشبه بالرياضى والحياة الروحية تشبه بتدريب الرياضيين .

ففى رياضة العدو ورد : " أكملت السعى " " قد بلغت نهاية الشوط " .

وورد أيضاً : " أما تعلمون أن المتبارين يركضون جميعاً فى الميدان ولكن واحداً منهم يفوز بالجائزة " .

وفى الملاكمة : " وهكذا أيضاً لا كمن يلطم ، بل أسدد اللكمات إلى جسدى وأسوقه أسيراً مخافة أن يتبين أنى غير مؤهل المجازة . أى الجائزة . بعدما دعوت الآخرين إليها " .

وفى المصارعة : " كما أن المصارع لا يفوز بالإكليل إلا إذا صارع بحسب القوانين " .

كذلك : " فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء ، مع السلاطين ، مع ولادة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية فى السموات "

وفى ضروب المران والتدريب : " روض نفسك للتقوى لأن الرياضة الجسدية نافعة للقليل ولكن التقوى نافعة لكل شيئ ".

وورد : " وكل متبارز يفرض على نفسه تدريباً صارماً فى شتى المجالات " .

الرياضة فى القرآن الكريم :

وفى القرآن الكريم آيات تجعل من الرياضة غاية بل وأساساً فى العقيدة

الإسلامية فقال تعالى فى سورة الإنفطار : "يا أيها الإنسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك " .

وفى سورة التين ورد قوله تعالى : " لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم " .

كما أوضح الله تعالى أنه إختار رجلاً من أولئك الرهط الذين أتوا بسطة فى الجسم وسعة فى العلم ليكون أهلاً للإرادة بالجسم القوى والعلم الغزير والعقل الثاقب الحكيم فقال تعالى : " وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله إصطفاه عليكم وزده بسطة فى العلم والجسم " .

فالآية تشير إلى مصارعة طالوت(داود) للبطل الكنعانى جولیات Goliath (جالوت) وقتله .

(داود يصارع أسداً)

وقد قارن عالم المصريات ويليام كيلى سمبسون William Kelly Simpson فى كتابه : (the Literature of Ancient) بين هذا المشهد وقصة المصارعة بين المصرى سنوحى والمصارع الأسيوى .

ثم أقسم الله بالخيل فى سورة العاديات فقال : " والعاديات ضبحاً ، فالموريات قدحاً ، فالمغيرات صبحاً " .

وفى ركوب الخيل واكتساب مهارات الفروسية قال تعالى فى سورة النحل : " والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة "، وفى الصيد يقول تعالى: " أحل لكم صيد البحر وطعامه متاع لكم وللسيارة " .

وعن الأدوات المستخدمة فى رياضة الصيد قال تعالى: " تناله أيديكم ورماحكم "

الرياضة فى السنة النبوية :

ثم نرى إلى النبى (ص) يسن تشريعاً فريداً لصحة البدن واعتدال قوامه فيقول : " نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع " .

وعلى نهجه سار صحابته فذات يوم مر عمر بن الخطاب بشاب ناسك قد أحنى قامته وطأطأ رأسه علامة منه على الخشوع والتبتل ، فحمل عليه عمر وضربه وقال له : " إرفع رأسك وأصلح قامتكم لا تمت علينا ديننا أماتك الله " .

وفى ضروب الرياضات المختلفة نرى قوله : " إلهوا وألعبوا فإنى أكره أن يرى فى دينكم غلظة " .

وفى صحيح البخارى عن النبى (ص) قوله : " إن لربك عليك حقاً وإن لبدنك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً فأعط كل ذى حق حقه .

فقال أحد الصحابة يارسول الله للولد علينا حقاً كحقنا عليهم ؟

قال: نعم حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمى وأن يورثه طيباً "

وعن إبن عباس قال النبى (ص) : " خير لهو المؤمن السباحة " .

ويروى عن السرى بن يحيى بن سليمان قال : " كان النبى (ص) يعجبه أن يكون الرجل سابحاً رامياً " .

ويروى كذلك أنه عندما دخل النبى (ص) وأصحابه غديراً ما فقال : " يسبح كل رجل إلى صاحبه فسبح كل رجل منهم إلى صاحبه حتى بقى النبى وأبو بكر فسبح النبى إلى أبى بكر حتى عانقه " .

كما يروى أنه لما بلغ النبى سنته السادسة خرجت به أمه لزيارة أخواله فى يثرب فنزلت به دار النابغة وأقامت به شهراً فكان النبى يقول : " هنا نزلت بى أمى وأحسنت العوم فى بئر بنى عدى بن النجار " .

وفى موضع آخر يتحدث عن لعبه فى صباه فيقول : " كنت ألاعب أنيسة جارية من الأنصار على هذه الأطم وكنت مع غلمان من أخوالى " .

وفى المطاعنة بالرمح كان المسلمون الأوائل يقضون وقتاً بعيداً فى إستخدام الرمح إما لمطاردة الوحوش وطعناً بها أو لإعداد حلقة من الحديد تسمى (الوترة) يتمرنون على الطعان بداخلها .

ويروى أبى قتادة أنه كان مع النبى (ص) حتى إذا كان ببعض طريق مكة تخلف مع أصحاب له محرمين وهو غير محرم فرأى حماراً وحشياً فإستوى على فرسه وسأل أصحابه أن يناولوه سوطه فأبوا ، فسألهم رمحه فأبوا ، فأخذه ثم شد على الحمار الوحش فقتله فأكل منه بعض أصحابه وأبى بعض ، فلما أدركوا النبى سألوه عن ذلك قال : " إنما طعمة أطعمكموها الله " .

وفيما يروى عن يزيد بن أبى عبيد : " سمعت سلمة بن الأكوع يقول : مر النبى (ص) على نفر ممن أسلم ينتضلون فقال : إرموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان رامياً إرموا وأنا مع بنى فلان .

فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال النبى مالكم لا ترمون ؟

فقالوا كيف نرمى وأنت معهم ؟ فقال : إرموا وأنا معكم كلكم " .

وكان النبى (ص) يقول لسعد بن أبى وقاص إرم فداك أبى وأمى فكان سعداً أول الرماة فى الإسلام وعمر لم يتجاوز السابعة عشر .

وكان دعاء النبى (ص) له : " اللهم سدد سهمه وأجب دعوته ".

وعن عقبه بن عامر أن النبى (ص) قال : " إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ، صانعه المحتسب فى عمله الخير ، والرامى به ، والممد به " .

وقال النبى (ص) : " من مشى بين الغرضين كان له بكل خطوة حسنه " .

وقال : " علموا بنيكم الرمى فإنه نكاية العدو " .

ثم : " تعلموا الرمى فإنه خير لهوكم " .

ويروى عن النبى (ص) أيضاً قوله : " إرموا وإركبوا وإن ترموا أحب إلى من أن تركبوا " .

وروى عنه أنه قرأ هذه الآية على المنبر " وأعدوا لهم ما إستطعتم من قوة " .

وقال : " ألا أن القوة الرمى ثلاث مرات " .

وروى مسلم عن عقبة بن عامر قال سمعت النبى (ص) يقول : " ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه " .

وقريب منه ما رواه أنس : " بهذه . يعنى القسى . وبرماح القنا يمكن الله لكم فى البلاد وينصركم على عدوكم " .

وقد حذر النبى (ص) من ترك مزاولة الرمى من ذلك ما رواه أبو هريرة ، قال النبى (ص) : " من تعلم الرمى ثم نسيه فهى نعمة سلبها " .

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة بن الجراح أن علموا غلمانكم العوم ومقاتلتكم الرمى فكانوا يختلفون إلى الأغراض .

ومن نصائحه فى الرمى : " إئتزروا وإرتدوا وإحتفوا وإرموا الأغراض ".

وكتب عمر بن عبدالعزيز أن الرمى بين الأغراض من أول النهار وآخره كعمارة المساجد .

وفى نفس هذا السياق يحكى أن الإمام الشافعى كان يقف لرؤية الرماة ووقف يوماً لرؤية بعض الرماة وحسنت له رمية فأعطى راميها ثلاثة دنانير معتذراً بأنه لم يكن يملك سواها .

وقد كان يقول كانت فهتمى فى شيئين الرمى والعلم فصرت فى الرمى حتى أصيب من عشرة عشرة والعلم فما ترون ؟

وجاء فى فتوح البلدان للبلاذرى : أن عدداً من الأوس والخزرج بيثرب ممن كان يجمع بين الكتابة والرمى والسباحة كان يلقب بالكامل .

وكان أشهرهم فى صدر الإسلام رافع بن مالك وسعد بن عبادة وأوس بن خولة.

هذا التراث أوحى لبعضهم أن يقول :

فمن شاء يسلك سبل العناية ... ويحصل من عزها فى نهاية

ويحظى بكل ثواب جزيل ... فلا يتعد طريق الرماية

فإن بها فى الدنى رفعة ... ونصراً لدين نبى الهداية

وممن أنشد فى الرماية دبيس المدائنى حيث يقول :

وفى قدود الرماح السمر منعطف وفى خدود السريجيات توريد
تغنت البيض فاهتز القنا طرب مثل إهتزازك أن يدعو بك الجود

وقال سيف الدين المنشد ملغزاً فى الرمح :

أى شيئ يكون مالاً وذخراً راق حسناً عند اللقاء وفخر
أسمر القد أزرق السن وصفاً إنما قلبه بلا شك أحمر

وقال الأمير أبو زكريا الهنتانى واصفاً الرمح :

وأسمر غدا شيب النقع رأسه إلا إنما بعد التشيب مشيب
مددت به كفى إليهم كأنه رشاء من قلب الكمى قليب

وقال نصر الله بن بصاقة الكاتب هو الآخر فى الرمح فى قصيدة طويلة منها :

ولى صاحب قد كمل الله خلقه وليس به نقص يعاب فينكر
عصى ثقيل إن أطيل عنانه مطيع خفيف الكل حين يقصر

إلى أن يقول :

عجبت له من صامت وهو أجوف ومن مستطيل الشكل وهو مدور
ومن طاعن فى السن ليس بمخبر ومن أرعن منذ عاش وهو موقر
ففكر إذا ما شئت إفشاء سر، فها أنا قد أظهرته وهو مضمر

وقال بحيرة العين بن تميم يصف من يلعب بالرمح :

لما بدى فوق الجواد وكفه تلهو بأسمر يرتمى بشهاب
عاينت ليثاً يلتوى فى كفه ثعبان رمل فوق رمل عقاب

أصول رياضة الرماية :

وأصول الرماية عند العرب خمسة تعرف بالأركان وهى القبض ثم العقد والمد والإطلاق والعيان ، وقد جمعها بعضهم فى قوله :

الرمى أفضل ما أوصى الرسول به وأشجع الناس من بالرمى يفتخر
أركانه خمسة القبض أولها والعقد والمد والإطلاق والنظر

وجعلها بعضهم فى أربعة جمعها فى قوله :

يا سائلى عن أصول الرماية العقد والقبض والإطلاق والنظر

وينبغى عند ممارسة الرماية مراعاة أن تكون قسى السبق قصيرة وخفيفة لأنه كلما خف السهم كان مداه أكثر بعداً.

وينبغى للرامى أن يتخير موقع وقوفه فينبغى عليه إستدبار الشمس والريح عند الرمى ويقف منحرفاً مفرجاً ما بين رجليه ويجب فى وقفة الرامى أن يحمل على قدمه اليمنى ويخفف من اليسرى .

درجات إصابة الهدف :

وقد جعل العرب لمكان إصابة الهدف ولقوة الرمية أو رخاوتها درجات هى:

الخاضل وهو الذى يقرع الشن (القربة) ولا يخدشه .

والخازق الذى يخدشه ولا يثقبه .

والخاسق الذى يثقبه ويثبت فيه .

والحابى وهو أن يدنى الرامى يده من الأرض فيرميه فيمر على وجه الأرض فيصيب الهدف .

والمارق الذى يثقب الشن وينفذ فيه .

والخارم الذى يقطع طرف الشن .

والمزلف الذى يسقط بقرب الغرض ثم يشتن فيصيب الهدف .

المسابقة فى الرماية :

وكانت المسابقة فى الرماية عند العرب على نوعين أولهما المسابقة على الإصابة ، وثانيهما المسابقة لأبعد مسافة .

وتكون المباراة فى الرمى بالقوس بثلاثة أنواع هى : مبادرة ، ومحاطة ، ومناضلة .

فالمبادرة أن يشترطا إصابة عشرة من عشرين فيبتدر أحدهما إلى العشرة فينضل منافسه .

والمحاطة أن يقولا نرمى عشرين رشقاً على أن من نضل منافسه بخمس إصابات فقد غلبه .

فإذا إشترطا ذلك ورمى كل واحد عشرين رشقا وأصابا إصابات نظر إن إستويا فى الإصابة لم يحصل النضل .

وإن تفاوتا فى الإصابة حط الأقل أو الأكثر فإن بقى لصاحب الأكثر الخمس المشروطة فقد نضل منافسه .

وإن بقى له من الخمس المشروطة لم يحصل النضل والمناضلة أن يشترطا عشرة من عشرين على أن يستوفيا جميعاً فيرميان معاً جميع ذلك .

فإن أصاب كل واحد منها عشرة أو فوقها أو دونها لم يحصل النضل إن أصاب واحد منهما دون العشرة والآخر عشرة فما فوقها فقد نضل منافسه .

ويذكر إبن القيم فى كتابه (الفروسية) آداب الرمى والمسابقة فيه فيقول : " ينبغى على المناضل أن يعد رواحه إلى المرمى كرواحه إلى المسجد وإجتماعه بمن هناك كإجتماعه برؤساء الناس وأكابرهم ومن ينبغى إحترامه منهم، ولا يعد رواحه لهواً باطلاً ولعباً ضائعاً بل هو كالرواح إلى تعلم العلم فيذهب على وضوء ذاكراً الله عامداً إلى روضة من رياض الجنة وعليه السكينة والوقار "، ويستطرد فى موضع آخر فيقول : " فإذا رمى رسليه (أى منافسه) لم يبكته خطأ ولم يضحك عليه منه ولا يحسده على رسليه (أى إصابته) ولا يصغرها فى قلبه ولا يحسن أن يحد النظر إلى منافسه حال رميه فإن ذلك يشغله ويشوش عليه قلبه وتركيزه .

وينبغى للرماة أن يخرجوا هذا من بينهم فإن ضرر يعود عليهم جميعاً " .

أرنا بهذا البيان فى آداب الرمى وغيره من آداب الرياضة عند العرب مما أشرنا إليه آنفاً التأكيد على أن العرب حين أشروا تراثهم الرياضى العريق وعرفوا من كتابهم ومن أقوال نبيهم وأئمتهم أن أمر الرياضة يتعلق بوجود وحضارة لم يتخذوها فى عصورهم الزاهرة هزواً أو لهواً بل جعلوا منها أدباً من الآداب وأساساً من العقيدة بل وفلسفة حياة .

ضروب من رياضة النبى والصحابة :

ونعود لنرى عائشة تروى هذا الموقف :

جاء حبش يزفنون _ أى يرقصون _ فى يوم عيد لهم فى المسجد ، فدعانى النبى حتى وضعت رأسى على منكبه فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التى إنصرفت عن النظر " .

وفى تلك الأثناء قال النبى للأحباش : " دونكم يا بنى أرفدة لتعلم اليهود أن فى ديننا فسحة " .

وإن كان النبى (ص) لم يمنع الأحباش من الرقص فإن بعض أصحابه رقص بين يديه لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك .

ففى قصة إبنة حمزة لما إختصم فيها على وأخوه جعفر وزيد بن حارثة فتشاجروا فى تربيتها فقال النبى (ص) لعلى : أنت أخونا ومولانا ، فرقص زيداً وراء رقص جعفر .

وتروى عائشة فى موضع آخر فتقول : " سابقنى النبى فسبقته ، فلبثنا حتى إذا أرهقنى اللحم سابقنى فسبقنى فقال هذه بتلك ".

وبعد ذلك تحكى لعبها بمفردها فقالت : " قدمنا المدينة فنزلنا فى بنى الحرث بن الخزرج فوالله إننى لعلى أرجوحة بين زتين فجاءتنى أمى فأنزلتنى " .

ويعود سلمة بن الأكوع فيقول: " أردفنى النبى وراءه على العضباء (ناقته) راجعين إلى المدينة فبينا نحن نسير وكان معنا رجل من الأنصار لايسبق فجعل يقول : ألا من مسابق إلى المدينة ؟

وأخذ يعيد ذلك فلما سمعت كلامه قلت : أما تكرم كريماً ولا تهاب شريفاً .

قال : لا .. إلا أن يكون النبى !

قلت : يانبى الله ذرنى أسابقه .

قال : إن شئت !

فذهبت إليه وسابقته وسبقته إلى المدينة " .

وقال على بن أبى طالب :" إنا كنا إذا إشتد البأس وإحمرت الحدق إتقينا بالنبى فما يكون أحد أقربإلى العدو منه ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ به وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً " .

وكان الصحابة يمارسون رياضة العدو والنبى (ص) يقرهم ويعدو معهم .

ومن أمثلة مسابقة الصحابة لبعضهم سباق عمر بن الخطاب والزبير بن العوام .

وقد حدث فى موقعة اليرموك أن قال القائد أبوعبيدة بن الجراح من يسابقنى ؟ فقال له أحد الشباب : أنا إن لم تغضب ، وعندها فطن القائد لدور الرياضة فى رفع الروح المعنوية لجنوده .

ولقد بلغ من حب النبى (ص) لرياضة العدو أن شجع أصحابه ونصحهم بالمشى فى كثير من الحالات فيروى عنه أنه قال عندما شكى ناس إليه فدعى لهم وقال : " عليكم بالنسلان " وهو الإسراع فى المشى .

وفى الذهاب لغزوة بدر كان الصحابة ألفاً والرواحل ثلثمائة فقال النبى (ص) كل واحد على راحلة وأنا وعلى وأبو لبابة على راحلة .

فركب النبى (ص) الناقة ولما جاء دور، فى المشى توسل صاحباه أن يبقى راكباً فقال : " ما أنتما بأقوى منى على السير ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر "

وبطبيعة الحال لم يكن الإهتمام برياضة العدو بأقل من الرياضات الأخرى التى مارسها العرب فى عصورهم الزاهرة .

ففى العصر العباسى أقاموا للعدو مسابقات خاصة كان يحضرها الخليفة وحاشيته وكبار رجال الدولة ومن أشهر العدائين فى ذلك العصر معتوق الموصلى المعروف بالكوثر ففى سنة ١٢٢٧م جرى معتوق من واصل إلى بغداد فى يوم وليلة ، كما جرى سنة ١٢٣٥ م من دقوقا ساعياً على قدميه إلى بغداد .

ومن العدائين الذين نافسوا الكوثر على بن الأربلى ففى سنة ١٢٤٨ م سعى من دقوقا إلى بغداد فوصل بعد العصر متقدماً بزمنه عن الكوثر بنحو نصف ساعة كاملة ، ولما وصل إلى بغداد كان المعتصم فى إستقباله .

كما أنشأ المأمون ميداناً للعدو والبولو أشارإليه المؤرخ تاج الدين بن الساكى حين كلامه فى وصف القصر المأمونى : " ذكر بعضهم أن هذا القصر صار إلى

المأمون وكان من أكمل القصور ، وصار منزل صيده وقنصه ومحل نزهه وفرصهواقتطع جملة من البرية فصلت ميداناً لركض الغلمان واللعب بالكرة والصولجان " .

وفى الخيل يقول النبى (ص) : " الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة " ويقول : " أكرموا الخيل ولاتقلدوها الأوتاد "ويقول : " أكرموا الخيل فإنها إرث أبيكم اسماعيل " .

وكان النبى (ص) يمسح وجه فرسه برداءه فقيل له فى ذلك ، فقال : " إنى عوتبت فى الخيل " .

وقد نهى النبى عن إيذاء الخيل وعن خصائها وجز أذنابها وأعرافها ونواصيها وكل ما من شأنه إذلالها لأن من طبائع الخيل الزهو بالنفس والخيلاء وهى كالبشر من طبعها الفرح والاكتئاب .

وهو ما أثبته كذلك الجاحظ فى كتابه (الحيوان) حين كلامه عن طبائع الفرس فيقول : " الفرس من طبعه الزهو فى المشى ، ويحب سائسه ، ويعجبه راكبه ، ولا يحب الأولاد ، وهو غيور ويعرف المصيبة " .

كما نهى عن إستخدام الخيل إلا فيما هى معدة من أجله وألا تكلف بما فيه إذلال أو إهانة لها فقال :" من كان له فرس عربى فأكرمه ، أكرمه الله ، وإن أهانه ، أهانه الله " .

فأية مكانة نالتها الخيل عنده وأى إشفاق علفيها حين يقول : " إذا ركب أحدكم الدابة فليحملها على ملاذها ، ليحملها من الطريق على ما يوافقها ، ويكون فيه إرادتها من الجرد ونماث الأرض التى يستلذ الدواب المشى فيها ، ولا يحملها على الرعونة والحزونة التى يشتد عليها السير فيها " .

وكان للنبى (ص) من أفراس السوابق خمسة هم : لزز وليحف والمرتجز والسكب واليعقوب .

وكان يستحب من الخيل الشقر ويقول : " لو جمعت خيل العرب كلها فى صعيد واحد ما سبقها إلا أشقر " .

وينبه عمر بن الخطاب إلى أن قوة الرجل لن توهن ما دام يواظب على الوثوب فوق ظهور الخيل والثبات عليها فيقول : " لن تخور قوى مادام صاحبها ينزع وينزو " .

أى ينزع فى القوس وينزو على الخيل فيثبت عليه عند الركوب دون استعانة بالركاب .

وتكلم العمرى عن مهارة عمر بن الخطاب فى إمتطاء صهوة جواده فقال : " كان يأخذ بيده اليمنى أذن فرسه اليمنى وبيده اليسرى أذن فرسه اليسرى ، ثم يجمع جراميز، فكأنما خلق على ظهر فرسه " .

وأمر ذا صلة بالموضوع ، حيث يصف الحريش بن هلال القريعى خيلاً حضرت مع النبى (ص) فى غزوة حنين ، فيقول :

شهدن مع النبى مسومات حنيناً وهى دامية الحوامى

ووقعة خالد شهدت وحكت سنابكها على البلد الحرام

نعرض للسيوف إذا إلتقينا وجوها لا تعرض للطعام

ولست بخالع عنى ثيابى إذا هر الكماة ولا أرامى

ولكن يجول المهر تحتى إلى الغارات بالغضب الحسام

وكذا مديح عباس بن مرداس لفرسان بنى سليم فى ذات الغزوة حيث يقول :

وإذكر جلاد سليم فى مواطنها وفى سليم لأهل الفخر مفتخر

قوم هم نصروا الرحمن وإتبعوا دين الرسول وأمر الناس مشتجر

لا يغرسون فسيل النخل وسطهم ولا تخاور فى مشتاهم البقر

إلا سوابح كالعقبان مقربة فى دار، حولها الأخطار والعكر

وأنشد كعب بن مالك الأنصارى مؤكداً إستجابة المسلمين لما أمرهم به ربهم من ربط الخيل وتجهيزها بعدة القتال :

ونعد للأعداء كل مقلص ورد محجول القوائم أبلق

وقول حسان بن ثابت فى مطلع قصيدته التى يمدح فيها النبى (ص) :

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء

يبارين الأسنة مصعدات على أكتافها الأسل الظماء

تظل جيادنا متعطرات يلطمهن بالخمر النساء

وحين فتح النبى (ص) مكة لقيته النساء يمسحن وجوه خيله يتبركن به فإلتفت إلى أصحابه وهو يبتسم وقال : كأن إبن الفريعة ينظر إلينا ، يعنى قول حسان بن ثابت " يلطمهن بالخمر النساء " .

وفى السنة السادسة من الهجرة سابق النبى (ص) بين الخيل إثنتى عشرة أوقية فسبق فرسأبو بكرالصديق فأخذ أربعمائة وثمانين درهماً .

وورد عن انس بن مالك أنه سأل : هل كنتم تراهنون على عهد النبى ؟

قال : نعم ! والله لقد راهن النبى على فرس يقال له (سبحة) فسبق فبش بذلك وأعجبه .

وفى حديث أبى هريرة ورد قول النبى (ص) : " لاسبق إلا فى خف أو حافر أو نصل " .

ولقد كلف النبى ذات يوم على بن أبى طالب بتنظيم السبقة وهو سباق الخيل فإختار علياً مديراً لحلبة السباق (الميطان) واحداً من الصحابة وهو سراقة بن مالك وكلفه بأن يكون صاحب الإذن بالبدء بينما كان علياً فى نهاية السباق قد خط خطاً لتحديد نهاية السباق كما نصب حكمين متقابلين ضماناً للحيدة بحيث جعل الخط طرفه فى إبهاميهما فإذا مرت الخيل بالرجلين إستطاع تقدير الفائز بالجائزة بدقة أما إذا تساوى فارسان قسمت الجائزة مناصفة بينهما .

وقد وصف إبن عمر السباق فقال : " أجرى النبى ما ضمر من الخيل من الحفياء إلى ثنية الوداع وأجرى ما لم يضمر من الثنية إلى مسجد بنى رزيق "والمسافة بين الحفياء إلى ثنية الوداع من ٨ كم إلى ١٢,٥ كم أما المسافة بين الثنية ومسجد بنى رزيق فتبلغ حوالى ٥ كم تقريباً .

وروى أبوعبيدة عن إبن عمر أن النبى (ص) سابق بين الخيل وأعطى السبق وأمر بها أن تضمر وجعل غاية الربع والجذاع من الغاية .

وأجرى الضمر من الحفياء وجعل الغاية المصلى ، والخيل المضمرة هى التى علفت حتى سمنت وقويت ثم قلل علفها ثم غشيت بالجلال حتى حميت وعرقت وجف عرقها فخف لحمها وقويت على الجرى.

وذات يوم سابق النبى بين الخيل على حلل يمانية فأعطى السابق ثلاثة حلل والثانى حلتين والثالث حلة واحدة والرابع ديناراً والخامس درهماً والسادس قصبة ، وقال حينها : بارك الله فيك وفى كلكم وفى السابق والفسكل ، وهو آخرالخيل وصولاً إلى خط النهاية .

وقد سابق النبى بنفسه وفاز بالسباق فيوماً أجرى الخيل وجاء فرس له (أدهم) وجثى النبى على ركبتيه ومر به وقد إنتشر ذنبه وكان معقوداً فقال النبى أنه لسابق .

ولما كانت خلافة عمر بن الخطاب سابق بين الخيل وكتب به إلى الأجنادوقد نهى النبى عن الجلب والجنب فى السباق فقال : " لا جلب ولا جنب فى الرهان " فالجلب أن يتبع فرسه برجل يحثها على سرعة الجرى ، والجنب أن يجنب فرساً إلى فرسه إذا فترت تحول إلى المجنوب .

كما سابق النبى (ص) بين الإبل فروى عن أنس قوله : " كان للنبى ناقته العضباء لا تسبق أولا تكاد تسبق فجاء أعرابى على قاعود فسبقها فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه النبى فقال : حق على الله ان لا يرتفع شيئ من الدنيا إلا وضعه " .

لأجل ذلك إرتبط المسلمون الخيل وتسابقوا فى إقتناءها والعناية بها لأنه قد إجتمع لهم فيها حبان : حب من جهة الشرع وحب من جهة الطبع .

لذلك كانت عندهم كقطع الأكباد ويحفظونها ولو بضياع الأولاد حتى كان الرجل يبيت طاوياً ويشبع فرسه ويؤثر على نفسه وأهله وولده .

الفروسية العربية فى كتب المؤرخين والأدباء الغربيين :

ويبقى أن نشير إلى شهادة بعض المؤرخين الغربيين من أمثال بيكلسون Picholson عن فروسية العرب لما لها من معنى خاص فى العصور اللاحقة حيث يقول: " من الممكن تتبع فروسية العصور الوسطى وإرجاعها إلى العرب الاقدمين لأن شهامة الفرسان ومغامراتهم وإنقاذ العذارى من السبى والمساعدة التى كانت تقدم فى كل مكان للنساء المحتاجات إلى مساعدة كل هذه صفات عربية أطلق عليها فى أوروبا كلمة نبل أو بطولة Chivalry والصلة وثيقة بين هذه الأعمال المجيدة وبين الفارس ذلك البطل النبيل الشريف Chivalrous لذلك إقترن الشعر بالفروسية فى أوروبا كما إقترن عند العرب بل أصبح شرطاً من شروطها وصار لزماً على الفرسان أن يقرضوه كباراً وصغاراً "ويذهب إرنست باركر Ernest Barker أن الأقواس المعروفة بإسم Cros _ bow أخذها الأوروبيون من العرب .

ويضيف بأن عادة التحطيب والإحتفال بيوم النصر بإضاءة الأنوار وفرش السجاجيد وإستخدام الشارات والرنوك تلك المعروفة فى أوروبة هى عادات عربية .

وكذلك يذهب رنول Ronul فى كتابه : (تاريخ الجيش الفرنسى) إلى القول : " بأن الأوروبيين أخذوا عن العرب فكرة الفرسان الملثمين كما أخذوا عنهم فكرة الفرسان المجزين من الدروع والأسلحة الثقيلة "وينسب سيديو Sedio إلى العرب إبتكار قصص الفروسية التى إنتشرت بعد عدة قرون فى إسبانيا وما كان يتبع تزيدها من رقص وغناء بل يذهب البعض إلى أن كلمة Chevalerie التى نعربها بكلمة فروسية مأخوذة من كلمة Cherval

وهى السروال العربى الذى كان يميز جمعيات الفتوة التى سنتحدث عنها لاحقاً

والأدب الأوروبى أسهم بدور فى التأكيد على ذلك الأمر فقد أفصحت رواية Lecid عن تقاليد الفروسية العربية منذ القرن ١٢ م كما أتى فى الفصل العشرين من رواية Turn Pin التى سبقت كل روايات الفروسية فى الأدب الغربى أن شارلمان Charlemagne قد تلقى الأمر بالفروسية وتشرب تعاليمها من الأمير العربى الذى كان يحكم (كولينا) colina فى مقاطعة (بروفانس) Provence .

وقد تلقى برنارد دى كاربيو Bernard de Carpio أقدم الفرسان الإسبان وأعظمهم صيتاً فنون الحرب على يد العرب حين إلتقى بجيوشهم محارباً فى صفوفهم ولم يتميز ويشتهر إلا بعد أن حذق الفروسية عنهم .

وقد بلغ من إعجاب ملوك أوروبة وأمرائها بالفرسان العرب فى ذلك العهد أن تهافتوا على إستخدامهم وتعزيز جيوشهم بهم ، وعندما إستخدم أهالى مدينة نابولى Napoli ثلة من الفرسان العرب فى قتالهم مع دوقات بنيفيان Benfian سعى أولئك الدوقات إلى إستخدام فرسان عرب أيضاً فى جيوشهم وعندما أراد الإمبراطوران اليونانيان باسيل Basil وقنسطنطين Constanine إستعادة نفوذهما فى إيطاليا إستخدما فى جيشهما عدداً من فرسان العرب فحاربوا تحت لوائهما الأمبراطور الألمانى أتون الأول Aton والذين جاءوا من بعدهوذكر المؤرخ (مورتورى) Murtori أن أولئك الفرسان العرب هم الذين كسبوا تلك المعركة حقاً وأنهم كانوا سادة ساحة القتال .

وقاتل الفرسان العرب فى صفوف الأورجوانيين فى أواخر القرن ١٣ م وبدايات القرن ١٤ م فأبلوا فى المعارك بلاءً حسناً .

ومن صور الفروسية المشهودة عند العرب ما نقرأه من قول الحصين بن الحمام المرى :

صبرنا وكان الصبر فينا سجية بأسيافنا يقعن كفاً ومعصماً

وقول عامر بن الطفيل :

هلا سألت بنا وأنت حفية بالقاع يوم تورعت نهد

أما أكمل صورة لفروسية العرب فيمكن أن نقرأها فى قول زهير بن أبى سلمى فى مدح هرم بن سنان الذى ساهم مع الحارث بن عوف فى إنهاء الحرب بين عبس وذبيان فى أرض غطفان موطنه :

أليس بضراب الكماة بسيفه وفكاك أغلال الأسير المقيد

ومدرء حرب حميها يتقى به شديد الرجام باللسان وباليد

كفضل جواد الخيل يسبق عفوه سراع وأن يجهدك يجهد ويبعد

الصفات الأساسية للخيل العربى :

أما الخيل العربى فيمتاز بصفاته الوراثية الأصيلة التى لم تتغير على مر أجياله فهو الأقدر على السرعة وقوة التحمل ، ربما لا يسبقها سوى خيل السباق البريطانية المعروفة بـ (الثوروبرد) Thorough bred .

ويشتهر برقته ووفائه ويمتاز بصغر رأسه وجبهته العريضة وأذنيه الصغيرتين الرقيقتين وبعينيه الكحيلتين الواسعتين وأنفه البارز المقعر من أسفل جبهته وباتساع منخريه وفمه الوسيم وبشفتيه الرقيقتين وفكه العريض .

وهو واسع الصدر ضيق الخاصرة رشيق الأضلاع مفتول العضلات ساعداه قويتان وحوافر سواء قوية صلبة متوسطة الميل على الأرض وعنقه مقوس قليلاً بالتحديب إلى أعلى وظهر قصير مستقيم عريض وينتهى بكفل عريض مستقيم وذيله ينتهى بخصلة من الشعر الطويل الجميل .

والخيول المولدة خارج بلاد العرب لا تختلف فى تركيبها وطباعها، وقد أنصف

خبراء الخيول الجواد العربى فتحدثت مجلة Mcrophne الألمانية سنة ١٩٧٩ م قائلة : " الجواد العربى من معجزات الخلق ، وليس هناك حيوان آخر يستطيع أن يملك على الإنسان نفسه بما يمتاز به من مقدرة وجمال ووسامة ساحرة ، وأن الخيول العربية لا نظير لها فى حساستها وجاذبيتها وإستقلالها ، وما توفر من متعة للناظر وللراكب الخبير " .

وعلى نفس المنوال تمضى المجلة فى موضع آخر فتقول : " والخيول العربية مثال الأناقة فى شكلها ، وهى رمز الكمال برؤوسها الصغيرة النحيفة وأحداقها الوهاجة وبكواهلها الناهضة وأكفالها الطويلة ، وبذيولها المتموجة ، وقوائمها الدقيقة المتينةوهى كذلك خيول تفضل أحسن الأنواع الأوروبية لقوتها وعصبيتها ورشاقتها وبأسها وقناعها وسرعة عدوها " .

مصارعة النبى (ص) وأصحابه :

وبعد صلح الحديبية قال أهل قريش فى سخرية وإستهزاء بالنبى وأصحابه:

سيطوف اليوم بالكعبة قوم أنهكتهم حمى يثرب " .

فلما علم النبى بذلك قال لأصحابه : " رحم الله إمرأ أراهم من نفسه قوة وقد صارع النبى بنفسه ومن بين الأشخاص الذين صارعهم وصرعهم ركانة بن عبد يزيد وأبو الاشدين كليدة بن أسيد.

فقد كان ركانة أشد رجال قريش وخلا يوماً بالنبى (ص) فى بعض شعاب مكة

فقال النبى : " ياركانة ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك إليه ؟

قال: أنى لو أعلم أن الذى تقوله حق لإتبعتك .

فقال له النبى : أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقوله حق ؟

قال : نعم .

قال : فقم حتى أصارعك .

فقام إليه ركانة يصارعه ، فلما بطش به أضجعه وهو لا يملك من نفسه شيئاً . ثم

قال : عد يا محمد ، فعاد فصرعه .

فقال : يا محمد إن هذا للعجب أتصرعنى " .

ومن إستمتاع النبى لرؤية المصارعة وتحفيز المصارعين لما كان الحسن والحسين يصرعان بين يديه فقال : هن يا حسن .

فقالت فاطمة : يا رسول الله لم تقول هن يا حسن ؟

فقال : إن جبريل يقول هن يا حسين .

وفى نفس السياق أنه عند الإستعراض لقوة المسلمين الخارجة لغزوة أحد رأى النبى (ص) صبيين فى الجيش هما : رافع بن خديج ، وسمرة بن جندب ، وهما إبنا خمس عشرة سنة فأرجعهما .

ولكنه حين عرف أن رافعاً ماهراً فى الرماية أعاده فبكى سمرة وقال : أجاز النبى رافعاً دونى مع أنى أصرعه !

فبلغ النبى (ص) الخبر فدعاهما وأمرهما بالمصارعة ، فكان الغالب سمرة فأجاز .

وكان عمر بن الخطاب مصارعاً قوياً ولكن لم تغن عنه قوته فى مصارعة خالد بن الوليد حيث تغلب عليه فى منافسة حامية الوطيس أصيب فيها عمر بكسر فى قدمه .

كما كان موقف النبى تجاه رياضة المبارزة الحافز الأكبر لإنتشارها حتى صارت من رياضات الفروسية بين المسلمين .

فيروى عن أبى هريرة قوله : " بينما الحبش عند النبى بحرابهم دخل عمر بن الخطاب فأهوى إلى الحصى فحصبهم بها .

فقال النبى : دعهم يا عمر " .

والثابت عن النبى (ص) أنه تقلد بالسيف وطعن بالرمح وكان عنده ثلاث قسى قوس معقبة تسمى الروحاء وقوس شوحط تسمى البيضاء وقوس نبع تدعى الصفراء .